كيف تكون خطيباً؟

الدكتــــــور
عمر عبد العزيز أبو المجد قريشى
الأستاذ المساعد بكلية الدعوة الإسلامية
بالقاهـرة

الطبعة الثانية منقحة

مطبعة الحسين الإسلامية
٢٥ ح المدرسة خلف جامع الأزهر الشريف
تليفون : ٥١٠٦٧٢٤ ـ القاهرة



الحـمد لله رب العـالمين، كرم الإنسـان بالعـقل، ونوره بالفكر، وميزه بالمنطق، وأقام حـياته على الخطاب، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شـريك له، خلق الإنسـان، علمه البـيان، وأكـرمه بنعـمة القرآن، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، أفصح العرب لساناً، وأبينهم منطقاً، وأوضحهم خطاباً، اللهم صل وسلم وبارك على خير الدعاة، وإمام الهداه، وخيرة الله من خلقه، وأفضل الداعين إليه علي بصـيرة، وعلي آله وصـحبـه المجاهدين فـيه بإحـسان، ومن اهتـدي بهديهم إلى يوم الدين.

أما بعد :

فـإن الخطابة فن من فنـون الأدب الرفـيع، ذات التـأثيـر النفـسي والتوجيه الاجـتماعي الأصيل، ولأهميتها كـانت صلتها بسائر العلوم واضحة.

وبرغم نشـأة الخطابة بصـورة فطرية فـإنها صـارت علمـاً كامـلاً بموضوعـه الذى يميزه عن غـيره من العـلوم، وبخاصة بـعد أن ألف «أرسطو» كتاباً مسـتقلاً عن الخطابة، ترجمه ملخصـاً الفيلسوف «ابن رشـد»، وبعدها كـثرت المؤلفـات عن هذا العلم، وتعـددت المناهج التي احتوتها هذه المؤلفات.

ويرجع السبب في اهتمام المتأخرين بالخطابة إلي إحساسهم بالدور

الخطير الذي تؤديه في الفرد وفي الجماعة مهما كان مستواه العلمي والأدبي.

هذا، والخطبة الدينية بالذات لها الجانب الأعظم في هذا الدور، وهي تعد أصلاً للإعلام الديني، وتضع أسساً لفن الاتصال بالجماهير بما تحتويه من العناصر ذات التأثير النفسي، والاقناع العقلى، والجذب الوجداني.

والدعاة إلي الله تعالي يحملون رسالة سامية تهدف إلي صياغة الإنسان بمنهج الله، وتوجيهه نحو خالقه، وانقاذه من التردي في هاوية الغي والضلال، والارتقاء به فى عالم الخير والنور والجمال.

وليس ذلك الأمر بالشئ الهين، لأنه لا يقاد الإنسان من داخله إلا عن طريق تلك الدعوة وما لها من تأثير، إن الدعوة إلي الله تعالي هي الجهاد فى الحقيقة، والدعاة هم المرابطون المسلمون، وعليهم أن يدركوا دورهم، ويفقهوا رسالتهم، ويشعروا بمسئوليتهم، فإذا تكلموا أحسنوا كلامهم، وإذا عملوا أتقنوا أفعالهم، وإذا تخلقوا فبخلق نبيهم ﷺ، وعلي الدعاة أن يتأكدوا من نصر ربهم، وأن يثقوا في أنفسهم، ويخلصوا لله في عملهم، والله من وراء القصد، وهو الهادي إلي سواء السبيل.

وأسأله سبحانه أن يوفقني ويوفق كل مخلص لدينه للحق والخير، وأن يتقبل عملي هذا، ويجعله ذخراً لي في الأرض، ونوراً في السماء، هو ولي ذلك والقادر عليه، وهو حسبي ونعم الوكيل.

المؤلف

عمر عبد العزيز

تمهيد

(علم الخطابة)

أولاً: تعريف هذا العلم :

الخطابة لغة مصدر فُعْلَه، خَطَب، من باب قتل يقتل (جاء في المصباح) يقال فى الموعظة خطب القوم، وعليهم.

خطبة (بالضم)، وهى فعله بمعنى مفعولة، وجمعها خُطَبْ مثل غرفة وغرف، فهو خطيب والجمع خطباء، وخطيب القوم هو المتكلم عنهم.

وأما خِطْبَة (بالكسر) فهي طلب المرأة للزواج، والرجل خاطب، وخَطَّاب، مبالغة فيه، ولذا فإن خَطَب يشتق منه خُطبة بالضم، وخِطبة بالكسر، والفرق بينهما، أن الخطبة بالضم تفيد البيان الشافى، والموعظة المؤثرة، المؤدية إلي الإقناع والاستمالة.

بينما الخِطبة بالكسر هى طلب الزواج، كما تقدم [(١)].

وهى اصطلاحا: لها مجموعة تعريفات، اجتهد فيها العلماء، نرى أن التعريف الأنسب هو أن « الخطابة علم يقتدر بتطبيق قواعده على مشافهة المستمعين لمحاولة التأثير فى نفوسهم، وحملهم على ما يراد منهم بترغيبهم وإقناعهم».

فقولنا: « علم له قواعد » عام يشمل سائر العلوم.

وقولنا: « يقتدر به على مشافهة المستمعين » يخرج به سائر العلوم التى لا تعتمد على المشافهة كالكتابة والشعر المدون، ويخرج به

---

(١) انظر بتوسع: لسان العرب والمصباح المنير والقاموس المحيط.

المناظرة والمجادلة، والمكابرة، والمناقشة، والمحادثة، لأن كل هذه الأمور تستلزم حواراً بين الجميع، فالمتكلم آناً يتكلم، ويستمع فى آن آخر، وهكذا.

بينما الخطابة مشافهة المستمعين، أى أن الخطيب هو الذى يتكلم، بينما الجميع يتسمعون.

وقولنا: « لمحاولة التأثير .. الخ » يخرج به المحاضرة بأنواعها، والبرهان المنطقى المجرد، لأن كلا منهما يقصد الاقناع فقط، ولا يتجه إلا إلى العقل بينما ترمى الخطابة إلى التأثير فى النفس، وحمل المستمع على الإذعان والتسليم بالإقناع والاستمالة معا [١].

وعلم الخطابة ينير لدارسه الطريق، ولا يحمله على السلوك، وهو يعطى المصباح ولا يضمن لحامله أن يرى، لجواز أن بعينيه رمدا، وهو فى هذا كسائر العلوم، فليس كل متعلم للنحو ينطق بالفصحى، ومتعلم المنطق قد لا يعصم ذهنه عن الخطأ، وهكذا سائر العلوم النظرية تعطى القانون فقط، ولا يتمكن من التطبيق إلا من روض نفسه على قانون العلم وقواعده، والتوفيق بيد الله وحده.

﴿ وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب ﴾ [٢].

---

(١) قواعد الخطابة وفقه الجمعة والعيدين د/ أحمد غلوش ص ٧ - ١٠ بتصرف.

(٢) سورة هود: ٨٨.

ثانياً: أهمية الخطابة للدعوة الإسلامية :

الدعـوة الإسلامـيـة واجبـة التـبليغ، بل فـرض على المسلمين أن يبلغوها للعالم بأسره، فى كل مكان فـيه بشر يتنفس، سواء كان هذا الفرض كفاية على عامة المسلـمين أو كان فرض عين على المتخصصين فى دراسة علوم الدين، وخاصة الأزهريين، كما قال تعالى ﴿**ولتكن منكم أمـة يدعـون إلى الخيـر ويأمـرون بالمعـروف وينهـون عن المنكر وأولئك هم المفلحون**﴾ [1] وكذلك قال: ﴿**فلولا نفر من كل فـرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون**﴾ [2].

وهذه الدعوة تحـتاج إلى من يبلغها للناس، وينقلهـا إلى العالمين، لأنها رسالة للناس أجـمعين، ولقد بَلغَّ سيد الدعـاة، وإمام الهداة، ورسول الله ﷺ تلك الدعـوة، تنفيذا لواجـبه الذى كلف به، ثم ترك لنا هذه الأمانة فى أعناقنا، وقد حملنا إياها بقوله « ليبلغ الشاهد منكم الغائب » [3] وبقوله « بلغوا عنى ولو آية » [4] وبين ﷺ أن « العلماء ورثة الأنبياء » [5] فوجب تبليغ الدعـوة على الوجه الأمثل، كمـا وجب على الأمة الإسـلاميـة أن تهيئ من بينهـا طائفة تربـيـهم بالعلم، ثم تمدهم بالأسباب المادية التى تمكنهم من البلاغ والدعوة.

وإن كانت وسائل التـبليغ كثيرة، لاسيما فى عـصرنا الحديث عن طريق أجهزة الأعلام المخـتلفة، فإنه وسط هذه الكثرة لا تزال الخطابة

(١) سورة آل عمران الآية ١٠٤.
(٢) سورة التوبة آية ١٢٢.
(٣) أخرجه البخاري.
(٤) رواه البخارى.
(٥) رواه مسلم.

محافظة على أهميتها القصوى فى البلاغ، ولسوف يستمر لها هذا الدور إلى يوم أن يلقى اللهَ جميعُ الناس.

وذلك لأنه - كما يقال - الإنسان يسيره وجدانه، أكثر مما يسيره فكره، والفرد مع الآخرين ينسى خواصه الفكرية، ومواهبه الأصلية، ويندرج فى وجدان الجماعة، وليس هناك ما هو أجدر من الخطبة فى استمالة الوجدان، وتهييج الشعور وتحقيق الانفعال المؤدى إلى الاندفاع والعمل.

والفرد الذى يسيره العقل وحده، لا تغفله الخطابة الدينية، لأنها قائمة على الحق، بعيدة عن التغرير، تستعمل الأدلة القاطعة، والبراهين الساطعة، والأدلة الظنية تؤكدها حتى تصل إلى أعلى درجات اليقين، وإن ارتباط الخطابة بالعاطفة الدينية دافع إلى الاهتمام والمتابعة، وأيضا فإن وجود الأمية وكثرة الأعمال وضيق الوقت دوافع رئيسية إلى ضرورة الخطابة، لأنها تخاطب الأمى على قدر طاقته، تقرب له البعيد وتذلل أمامه الصعب، وتوجز الزمن لمن لا يجده من أصحاب الأعمال، وتركز المعانى الكثيرة فى كلمات قليلة أو تقدمها وجبة جاهزة لمن تزحمه مشاغل الحياة.

ولأهمية الخطابة للدعوة كان لها الدور الرئيسى فى صدر الإسلام، حيث خطب النبى ﷺ فى يوم الجهر بالدعوة، وكان يخطب فى الوفود القادمة، وفى الجيوش الذاهبة، وكان ﷺ يكلف القادر على الخطابة أن يقوم بواجبه تجاه اخوانه، وتجاه غيرهم، يدعوهم إلى الخير ويأمرهم بالمعروف، وينهاهم عن المنكر.

وعلى الجملة فإن الخطابة ضرورية للدعوة، وما أجدرنا أن نقوم بها، ونُعدَ لها رجالا قادرين على أدائها، فالخطيب الحكيم يستطيع بما وهبه الله عز وجل من نور الحكمة، وقاطع الحجة، وساطع البرهان، أن يصحح المقلوب، وينبه العقول، ويطهر النفوس، حتى ترجع عن

غيها، وتعود إلى الاعتدال، وتتحلى بالفضائل والكمال، وتعيش بنور العلم وحلاوة الايمان [١].

ثالثا: علاقة علم الخطابة بالعلوم الأخرى :

للخطابة صلة بسائر العلوم سواها، لأن هدفها الاقناع والاستمالة، وهى لا تستطيع ذلك إلا إذا أحاطت بالأدلة وأنواعها، والبشر ونفوسهم، والمجتمع وطريقة تغييره، ولذلك فهى صلة وثيقة بالعلوم والمعارف.

* ومثال ذلك، لابد من معرفة علم الاجتماع الذى يهتم بالظواهر الاجتماعية، والقوانين الاجتماعية أو أحوال المجتمعات، وحل المشكلات، وتحسين المستويات للجنس الإنسانى بصفة عامة، لذلك كان علم الخطابة فى حاجة إليه، لأن الخطبة الجيدة هى التى تهتم بالواقع، وتتناول ظاهرة موجودة لها أهميتها فى الناس، وتحتاج إلى إصلاح وعلاج، والضرب على الوتر الحساس، كما يقول الناس.

* وأيضا فيما يرتبط بعلم النفس، لمعرفة ما يصل إلى قلوب الناس ويؤثر فيهم، ويحملهم على الانقياد له، ولن يستطيع ذلك إلا بعد دراسة نفسية الجمهور الذى يخاطبه ومعرفة خصائصه، وعناصر تكوينه، والعوامل التى تؤثر فيه، والدوافع التى تحركه، وتلك كلها من موضوعات علم النفس، وهو من الأهمية بمكان في علم الخطابة التى تهدف إلى التأثير فى نفسية الناس لحملهم على ما يراد.

وعلى الخطيب أن يعرف أن الجماعة تنقاد بالاستمالة كما تنقاد بالاقناع، وواجب عليه أن يركز على الغرائز البشرية ويخاطبها بالطريقة التى تصلحها، ولذلك لزمه الإحاطة بعلم النفس بسائر فروعه.

* وكذلك فيما يتصل بعلم المنطق، إذ لا تخلو الخطابة من المنطق

---

(١) قواعد الخطابة ص ١١ - ١٤ بتصرف.

أبدا، ففيــها القياس بأنــواعه، وفيها كـثير من أجزاء المنطـق كالجدل والبرهان، وغير ذلك كـالمقدمة والنتيجة، مكسـوة بالطلاء الجمالى، والفن الخطابى الذى يجعله مقبولا من النفس والعاطفة، مع التماسك فى الخطبـة، بحيث يأخـذ بعضهـا بحجـز بعض، وهذا لا يكون إلا بتـسلسل الأفكار، وتتابـعهــا، مع قوة الأسلوب، وحـسن العبـارة، وجمال الألفاظ، وهكذا نـرى علم المنطق يخدم علم الخطابة، كعلم النفس والاجتماع أيضـا، ولكن يجب أن نشير إلى أننا نأخذ من كل علم أحسنه، ومن كل فن أجـوده، بما يخدم قضيـتنا ويتفق مع ديننا، ولا يتعارض مع أحكام إسلامنا.

هذا، ولئن كنا ضـربنا المثل بصلة علم الخطابة بهذه العـلوم، فإنه على رأس العلوم جميعها، تأتى صلة الخطابة بالدراسات الإسلامية، والعلوم الدينية، إذ هى أسـاسها وموضـوعها، وزادها ومضـمونها، ويتمـثل ذلك فى معرفـة سائر المعارف الاسلامـية والقضـايا الدينية، وأساس ذلـك يكمن فى كتـاب الله تعالى، وذلك عن طريق قـراءته وتدبره وفهمه وتفسيره، وبيان أوجه الاعتبار فيه، وسر الإعجاز الذى يكمن فيه، فى كل نوع من أنواع الإعجاز وألوانه.

ثم الحديث النبـوى الذى له دوره الكبير فـى الخطبة، والذى يمثل المذكرة التفسيرية للقرآن الكريم، مع معرفة الصحيح من غيره.

ثم الأحكام الفـقهـية مع مـعرفـة طريق اسـتنباطهـا من مصـادر الإسلام، وكذلك الالمام بسيرة الرسـول ﷺ العطرة، ومعرفة سيرة أصـحابه البـررة، والوقوف علـى كتب التـاريخ والأدب والأخبـار، ومـواقف العلماء ومـحاوراتهم، كـمـا يجب أن يقف الداعيـة على التيارات المختلفة، والعلم بالأديـان والمذاهب المعاصرة، وبهذا يتمكن الخطيب إلى - حد كبير - أن يقوم بدوره الإسلامى الصحيح [(١)].

(١) انظر بتوسع : تلخيص الخطابة لابن رشـد ص١٦، وقواعد الخطابة د/ غلوش ص١٥ - ٢٠.

كـما أن الخطيب الناجح هو الذى يـحيط بسـائر العلوم الإنسانيـة ليتمكـن بهذه الإحاطة، أو الثقافـة العامة من مخـاطبة الناس بشكل ناجح ومفيد، فيـشخص الداء وهو يعرف الدواء، وينادى وهو يعرف كيف يستجاب له، ويأخذ بالألباب، لأنه يناجيها ويجذبها إليه.

إن الانسـان ـ هذا المجهـول ـ قد أحاطتـه دراسات عـدة من أجل فهـمه، ومـعرفـة حقـيقـة مظهره ومـخبـره، ويجب أن توضع هذه الدراسات فى خدمة الإنسان نفسه بعد ذلك. إن دراسة التاريخ يجب أن تؤدى إلى فهم قـوانين الحركـة والعمران. ودراسـة علم الأخلاق يجب أن تؤدى إلى أن يتـحلى الإنـسان بالـفضـائل، ويبـتـعـد عن الرذائل.

ودراسة علم الجمال يجب أن يملأ حياة الإنسان باللذة والبهجة.

وهكذا يجب أن تـؤدى دراسـة العلوم الإنسـانيـة ـ بـعـد العلوم الإسلامية ـ هدفها التطبيقى الذى يظهر فى الانسان ولمصلحته.

وعلم الخطابة بعد ذلك كله يستفيد من قوانين سائر العلوم، ونتائج دراستها ليؤدى دوره بوفاء وقوة.

وبهـذا يعطى الخطيب المسلم لجـمهـوره علمـا، ودينا، ويؤمل فى التأثير فـيهم، وتوجيههم إلى الخـط الذى يعمل له، وهو صراط الله المستقيم، ولا يكون ذلك إلا بالإحاطة بتلك الدراسات وهذه العلوم، بأخذ أفضل ما فيها، واستنباط حـكمتها، وبهذا تستقيم الأمور، إذ لا يستقيم الظل والعود أعوج، وفاقد الشىء لا يعطيه، وكيف ينشر علما وهو يجهله؟ أو يقول وهو غير فـاهم أو يسمع جمهوره وهو لا يكاد يُبِينْ؟!!.

إن المتأمل للواقع يلمس مدى حـاجةالخطيب فى المجال الإسلامى للمعارف والدراسات الإسـلامية المختلفة، وكل ما يخـدمها من سائر العلوم، بل ويلمس أيضا حاجة المجـتمع المعاصر لمثل هذا الخطيب، وتشوق الناس إليه، وبحثـهم عنه، فكم من خطيب رفعه الناس على الأعناق تقديـرا وإعجابا به، ولا نغـفل جانب الإخـلاص مع جانب العلم إذ هذه الدعوة لها جناحان، أحـدهما إخلاص، والآخر علم، ولا تمضى فى طريقها سالمة إلا بهما معا.

هذا، وكم من خـطيب انصـــرف عنه الناس لجـــهله بالإســـلام ومصـــادره، وقصـــوره فى مخـتلف الدراسات الاسـلاميـة، مع عدم الاهتمـام بمظهره الاسلامى، وعدم عـمله بما يقول أو عدم إخـلاصه فـيمـا يعلم، عـيـاذا بك اللهـم، فـانظر - يا ابن الدعـوة، ويا ابن الإسلام - أى الرجلين تحب، وبأيهما تقتدى؟.

رابعا: أساسيات علم الخطابة :

لا يختلف علم الخطابة عن سائر العلوم فى أن له موضوعا يتخذه مجالا لدراسته ومباحثه، وفى أن له هدفا يسعى لتحقيقه والوصول إليه، وليس مسلما ما يدعيه البعض من أن الخطابة موهبة، ولا مدخل للاكتساب إليه، لأن الموهبة فى حقيقتها لو وجدت تحتاج إلى التنسيق بالدراسة، ولا بد لها من معرفة القواعد العلمية لتفيد وتؤثر، وكم من خطباء بدأوا عملهم قبل اكتشاف استعدادهم الفطرى، وإذا بهم يتبعون قواعد العلم، فيبرزون بالعلم والموهبة معا.

صحيح أن الموهبة لها دورها فى النجاح، لكنها لا تغنى عن الدراسة والعلم، والإحاطة بأركان علم الخطابة، لقد كتب العلماء الأوائل فى الخطابة، وتبعهم المتأخرون فقدموا بذلك زادا للعلماء والدارسين يضئ الطريق ويشجع على مداومة المسير.

وأركان علم الخطابة، التى هى موضوعه تنحصر فى ثلاثة هى :

١ - الخطبة ٢ - الخطيب ٣ - المستمع

وذلك لأن الخطابة فى جملتها أقوال هادفة، رتبت وفق منهج علمى معين، يتحدث بها شخص عالم بما يقول، ويوجهها لجمهور الناس بهدف التأثير فيهم واقناعهم بما يراد منهم..

وعلى هذا، فالأقوال هى الخطبة، والقائل هو الخطيب، والجمهور هم المستمعون. يقول ابن رشد: إن الكلام مركب من ثلاثة : من قائل وهو الخطيب ومن مقول فيه وهو الذى يعمل القول فيه، ومن الذين يوجه القول إليهم وهم المستمعون.

إن علم الخطابة يتناول كل ركن من هذه الأركان الثلاثة، فَيُعَرِّف

به ويقسمه أقساما معينة من أجل تفهمه، ودراسة أبعاده المتعددة وفق المنهج العلمى لدراسة علم الخطابة، وبعد ذلك تكون قواعد العلم وقوانينه بينة واضحة أمام الخطباء، وكل من يتصدى لهذه العملية التوجيهية الهامة.

وبعد أن تناولنا هذه الأمور الهامة حول تعريف علم الخطابة، وأهميته وصلته بالعلوم الأخرى، وأركانه وأساسياته من خلال هذا التمهيد، نستطيع أن نحدد بعد ذلك جوانب دراستنا لهذا العلم فى تلك الأركان الثلاثة المذكورة، على النحو التالى، فى الفصول التالية، بتوفيق الله تعالى [١].

---

(١) قواعد الخطابة د/ غلوش، دراسات فى فن الخطابة د/ السعودى عبد المقصود، دراسات فى علم الخطابة د/ عبد الغفار عزيز.

الفصل الأول

الخطبـة

عندما يقصد شخص مـخاطبة مستمعيه بمقـولة خاصة، وعلى هيئة الخطبة لزمـه أن يستعد لها فـيتصورها بوجـدانه، ويفكر فى عناصرها ويركزها بعقله، ويقف على الأدلة والبراهين التـى سيوردها خلالها، ويهيئ أسلوبه وبيانه الذى سيحدث به المستمعين.

والخطبة ليـست عملية سهلـة، ولكنها أمر شاق يحـتاج إلى وقت وجهـد، لأن أصولهـا تعلم أن من يستـمعـون للخطبة، لهم عـقول تحكم، ولهم أرواح تحس، ولهم نفوس تتـذوق، لذلك كان ضرورة التـسلسل المنظم للخطبـة، والبـيـان الواضح فى أسلوبهـا، والإقناع والاستمالة بأدلتها.

ولذلك يجب معرفة هذه النقاط التالية عن الخطبة :

أولا : إعداد الخطبة :

فالأمر العـظيم يحتاج إلى تخطيط وإعداد، حـتى يكون على قدر المقام الذى وضع له، ألا ترى رسل الله صلوات الله وسـلامه عليهم كانوا يسـتعدون لدورهم بكل ما أوتوا من قـوة، فهذا سيـدنا موسى عليه السلام، حينما قال الله له : ﴿ **إذهب إلى فرعون إنه طغى** ﴾[١] كان رده ﴿**قال رب اشرح لي صدري . ويسـر لي أمري . واحلل عقدة من لساني. يفقهـوا قولي. واجـعل لي وزيرا من أهلي. هارون أخي. اشدد به أزري. وأشركه في أمري. كي نسبحك كثيرا. ونذكرك كثيرا. إنك كنت بنا بصيرا. قال قد أوتيت سؤلك يا موسي** ﴾[٢] .

---

(١) سورة طه : ٢٤.

(٢) سورة طه ٢٥ - ٣٦.

وهذا رسولنا ﷺ يدرك خطورة دوره فيبــذل الجهد فى المحافظة على وحى الله إليـه، ويحاول أن يصــونه بكل الوســائل الممكنة وهو ينزل إليـه فـقـال الله له : ﴿ **لا تحرك به لسـانك لتعـجل به. إن علينا جمعه وقرآنه** ﴾ [(١)].

والخطبة من المسائل الصعبة، يستشعر ذلك كل من مارسها عمليا، وواجه الجمهور، فتراه يتصـبب عرقا، بل قد يبادره الشيب، وقد قيل « لعبد الملك بن مروان » عجل عليك الشـيب يا أمير المؤمنين، فقال: كيف لا يعجل علىَّ، وأنا أعرض عقلى على الناس فى كل جمعة مرة أو مرتين».

ولصعوبة الخطبة وجب الإعداد لها.

والإعداد هو التهيئة والتحـضير، ولابد منه للخطبة ليبرز المعنى فى ثوب حسن مؤثر، يقول الجاحظ: «إن المعنى إذا اكتسب لفظا حسنا، وأعاره البليغ مخرجـا سهلا، ومنحه المتكلم قولا متعـشقا، صار فى قلبك أحلى، ولصـدرك أملى، والمعـانى إذا كـسيت حـسن الألفـاظ الكريمة، وألبـست الأوصاف الرفيـعة تحولت فى العـيون عن مـقادير صورها، وأربت على حقائق أقدارها بقدر ما زينت، وعلى حسب ما زخرفت، فاذكر هذا الباب ولا تفرط فيه» [(٢)].

وإعـداد الفكرة والمعنى وإظهـارها بصـورتهـا اللائقـة يمر بمراحل مـتعـددة، لأن تخيـر الموضوع وتحـديده فى العـقل والرضى به يمثل مرحلة، كـما أن تحليل الموضـوع لعناصره الأسـاسية واختـيـار أدلته وتنسيقها يمثل مرحلة ثانية، وأيضا فإن صياغة المعانى والأدلة فى قالب بيانى فصيح، وأسلوب بليغ يتناسب مع المستمعين يمثل مرحلة ثالثة.

---

(١) سورة القيامة آية ١٦ - ١٧.

(٢) البيان والتبيين للجاحظ.

ولا تفضل مرحلة غيرها فى الأهمية، فجـميعها يتضافر فى تقديم خطبة جميلة متماسكة تصل لهـدفها وتأثيرها، كما يقول الشيخ على محفوظ : «من أراد العظة البليغة والقولة المؤثرة فليعمد إلى المنكرات الفاشية، ولا سيما ماكـان منها قريب العهد وحديثه على ألسنة الناس ثم يقدم أكبرها وأخطرها فيجعله محور خطبته، وموضوع عظته، ثم يفكر فيما ينشأ عن هذا الحادث من آثار يحصيها، ثم يستحضر الأدلة من الآيات والأحاديث والآثار، ثم يأخذ فى كتابة الموضوع بعد ذلك إن شاء» [١] .

فنجد من قال فى البلاغة، ومن قـال فى الخطابة يقسمون الإعداد للخطبة إلى مراحل أربع :

المرحلة الأولى : تعرف بمرحلة اختيار موضوع الخطبة.

المرحلة الثانية : تعرف بمرحلة تركيب عناصر الخطبة.

المرحلة الثالثة : تعرف بمرحلة اختيار الأدلة.

المرحلة الرابعة : تعرف بمرحلة التعبير البيانى.

ونحن نؤكـد على أهميـة الإعداد وضـرورته، لأن تخلف الوعظ الدينى اليوم، يرجع فى الأساس لإهمـال الإعداد عند الخطباء، ومن المعلوم أن كبار الخطباء يهتمون بخطبـهم، إذ يتخيرونها بدقة ويعدونها إعدادا حسنا، وهذا سبب رئيسى فى نجاحهم وتأثيرهم.

هذا ونفـصل القول فى تلك المراحل بعض الشيء، فنـقول وبالله التوفيق :

---

(١) هداية المرشدين للشيخ على محفوظ.

يحتاج أمر ما إلى القاء خطبة، فإن على الخطيب أن يلجأ إلي نفسه أولا، ليبحث عن الموضوع الذى يناسب هذا الأمر، ويتفق مع رغبات المستمعين، ذلك أن الموضوعات كثيرة، ومناسباتها عديدة، فما يناسب التهنئة لا يناسب العزاء، وما يقال فى الصلح غير ما يقال في الجهاد، وخطبة الأعياد والمناسبات الدينية غير ما فى الأيام العادية سواها، إذ لكل مقام مقال، ولكل مقال مجال.

وأيضا فإن الموضوع الواحد يلقى بأوجه متنوعة، وما يثير اليوم قد لا يثير غدا تبعا لتغير الموقف الحالى. ثم إن الناس يتأثرون ببيئتهم وثقافتهم، ولابد أن تتناسب الخطبة معهم، ومن هنا كانت أهمية اختيار موضوع الخطبة، وتحديده وفق اعتبارات موضوعية معينة، وهذا الاختيار للموضوع هو المرحلة الأولى فى الإعداد، وحتى يكون خلق الموضوع فى إطاره العلمى وجب أن ينبنى على الاعتبارات التالية :

(أ) نفسية المخاطبين :

إذ يتأثر الإنسان بعدد من المؤثرات بعضها فطرى والآخر مكتسب، ولا ينجو إنسان ما من هذه العوامل الموجهة، فهى تلازمه وتعيش معه وتدفعه إلى سلوك معين، وتجذبه نحو غاية خاصة، بل إنها تساعده على التعامل مع كافة المواقف النفسية والاجتماعية، وتعينه على بلوغ أهدافه، وتمكنه من الدفاع عن فكرته، ورد انتقادات الناس الموجهة إليه.

والاتجاهات الفردية صورة لاتجاه الجماعة بشكل عام، وكلاهما إما أصلى أو طارئ، والخطيب يمكنه معرفة اتجاه الأفراد والجماعة إذا لاحظ العوامل التى تحدث الاتجاهات العامة وتؤثر فى نفس الأفراد، وتنميها. وقد أشار علماء النفس الاجتماعى إلى انحصار هذه

العوامل فى البيئـة، والوراثة، وإمكانيةالشخص ذاته. وملاحظة ذلك يُمكِّن الخطيب من التركيز على القضايا المؤثرة على السامعين، وعدم التـصادم المبـاشر مـع الاتجاهات السـائدة، ومن هنا يأتى اختـيـاره لموضوع الخطبة متفقا مع نفـسية المستمع، وبذلك يختلف الموضوع فى القرية عن المدينة، والخطبة للعمال تغاير الخطبة للمثقفين وهكذا.

(ب) عقلية المخاطبين :

إن كانت الاحاطة باتجاهات نفس الأفراد تمكن من الموضوع المفيد، فإن الإحاطة بعقليتهم تمكن الخطيب من اختيار نوع الدليل، ومستوى الأسلوب الذى يوجه اليهم.

إن الناس ذو عقليات ثلاثة :

فطائفة: منـهم أصحاب نفـوس مشرقـة، قوية الاستـعداد لادراك المعانى، قوية الانجذاب نحو المبادئ العـامة، مائلة إلى تحصيل اليقين على اختلاف مراتبه، وهؤلاء أصحاب العقل الراقي فى الناس.

وطائفة ثانية: هى عوام الناس الذين يملكون نفوسـا كدرة، ضعيفة الاستـعداد لـلمعـانى، شديدة الإلف بالمحـسوسـات، قوية التـعلق بالرسـوم والعادات، قـاصـرة على درجـات البرهان، هؤلاء أقـوام يستثارون بسهولة ولا عناد عندهم.

وطائفة ثالثة: معاندة مجادلة بالباطل، تقصد دحض الحق لما غلب عليها من تقليد الأسلاف، ورسخ فيها من العقائد الباطلة.

فهم بهذا يمثلـون طرفين ووسط، فالطائفة الأولى التى تتجـه إليها الحكمـة، وهى طرف الكمال، والطـائفة الثـالثة المجـادلة هى طرف النقصان، وتحتاج إلى المجادلة بالحسني أو بالتى هى أحسن، والطائفة

الثانية هى الوسط وهى صاحبة الموعظة.

وقد أشارت الآية الكريمة إلى أصناف الناس الثلاثة فى قوله تعالى: ﴿ ادع إلي سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ﴾ [(١)].

كذلك يجب أن يكون الدليل متفقا مع عقلية المستمعين، كما أن تسلسل العناصر يحتاج إلى عقل معين لمتابعته. وعلى الجملة فإن الإحاطة بعقلية الأفراد تسهل للخطيب النجاح.

(جـ) ملاحظة المناسبة :

فالتناسب بين الشيئين أساس لتآلفهما، وعناصر المادة لا تتآلف إلا بهذا التناسب، وكذلك «الأرواح، ما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منا اختلف» [(٢)].

وقد اقتضت حكمة الله تعالى أن ينزل القرآن الكريم متناسبا فى آيه وسوره، ومناسبا لواقع الناس ومصالحهم، فخلد بذلك فى النفوس والعقول، ولقد كان العربى يستمع إليه فيأخذه بيانه الساحر، وتناسبه العجيب، ويناديه آمرا أو ناهيا، فلا يسعه بسبب ما فيه من دقة إلا أن يستجيب، ولقد وصفه «الوليد بن المغيرة»، فقال : «إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق وإنه يعلو ولا يعلي عليه وما هو من كلام البشر».

لذا من الصواب أن نلزم الخطيب بأن يتناسب مع الناس، ولعل أوضح التناسب أن يعيش مناسباتهم على اختلافها «الدينية، والوطنية، والقومية، والشخصية» وتتغاير الخطب بقدر تغاير

---

(١) سورة النحل ١٢٥.
(٢) رواه البخارى.

المناسبات. إن خطبة العيد تغاير خطبة الجمعة، وخطبة التهنئة تختلف عن خطبة العزاء، وواجب على الخطيب أن يحيط بسائر المناسبات حتى يعيش فى واقع الناس وفكرهم بهذه الاحاطة.

وذلك لأن الجمهور حينما يجد قولا يتصل بيومه، وحياته ينتبه إليه، وإن فاته منه شيء سأل عنه، اشباعا لنفسه التى أثارها هذا المقال.

وليس معنى مراعاة الخطيب لمناسبات الجمهور ألا يوجه لهم أمرا جديدا لا يأمرهم ولا ينهاهم، وإنما الذى نقصده أن يكون مع الناس في مناسباتهم، ويحول الأمر ببراعة إلى ما يريد، ولا يكون بعيدا عن الناس فيتخلف أو ينعزل، ولقد كانت خطابة النبى ﷺ مثالا لهذا التناسب الذى نتمناه.

يصفها الرافعى فيقول : «إن خرجت قلت: أنين من فؤاد مقروح، وإن راعت بالحكمة قلت: صورة بشرية من الروح، فى منزع يلين فينفر بالدموع، ويشتد فينزو بالدماء»[١] ولا غرابة فى هذا، لأن النبى ﷺ صناعة إلهية من أجل الناس، وقد أدبه ربه فأحسن تأديبه، وعلمه فأحسن تعليمه، ﴿ **وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما** ﴾[٢].

ونحن لا نطالب الخطيب أن يكون على هذا المستوى المعجز، ولكن نطالبه أن يسير على الدرب المرسوم، خاصة بعد أن بين العلم الطريق، وطالب بضرورة مراعاة المناسبة، والتوافق بين المقال والناس.

---

(١) البلاغة النبوية للرافعى ص ٣١١.
(٢) سورة النساء ١١٣.

وأخيرا: فإن الإحاطة بالاتجاهات النفسية ومعرفة عقلية الجماهير، والوقوف على المناسبات المختلفة يُمكِّنُ الخطيب من اختيار الموضوع المثمر، وانتقاء الدليل المناسب، ومراعاة مقتضى الحال. وبالله التوفيق[(١)].

المرحلة الثانية «تركيب العناصر» وذلك بعد تحديد الموضوع، واختيار نوعية الدليل يأتى تحديد العناصر، وتفصيل الدليل مع كل عنصر، واضعا فى ذهنه الأسس التى اكتسبها من المرحلة الأولى. وقد سمى «ابن سينا» هذه المرحلة بـ «العمود». لأنها الأساس المكين فى الخطبة، وعليه المعول الأكبر فى الترتيب والتنسيق.

وعلى الخطيب أن يحدد عناصر الخطبة ويميز كل عنصر على حده، ويجعل كل العناصر تدور حول موضوع واحد. ويستحسن للخطيب أن يوجز هذه العناصر فى كلمات قصار، لكى تدوم معه، ويتمكن بعد دوامها من جمع الأدلة المناسبة لكل عنصر.

ومما يعين فى تعيين العناصر: القراءة فى المراجع العلمية، والفحص العقلى للموضوع، ووضوح الهدف من الموضوع كله.

ويجب أن تكون العناصر مترابطة مسلسلة بحيث يأخذ كل عنصر بحَجُزِ صاحبه بلا خلل، أو بعد عن الموضوع، وبخاصة أن الاستطراد غير مستحب فى الخطبة. وبجمع العناصر تبدأ الخطوة العملية فى تركيب الخطبة.

المرحلة الثالثة: «اختيار الأدلة» : بعد الاستقرار على موضوع الخطبة وتقسيمها إلى عناصرها الأساسية يأتى دور البحث عن الأدلة

---

(١) قواعد الخطابة ص ٣٧ - ٤٢ بتصرف.

والبراهين التى تعين الخطيب على بيان موضوعه، وافهام المستمعين، وهذا يحتاج إلى تحديد نوعية المصادر التى تفيد كل موضوع، وانتقاء تلك النوعية، فليس كل ما كتب يقرأ، ولا كل ما يقرأ يقال، ولا كل ما يقال يسمع.

ويرى العلماء أن الأدلة منها ما يتصل بالموضوع اتصالا مباشرا، ومنها ما يتصل بطريق عرضى غير مباشر.

وعلى من يتصدي للخطبة أن يختار أدلته فى اطار الجوانب التالية:

١ - آراء أهل التخصص:

فلكل قلم رجاله، ولكل لسان أهله، ولكل فن أصدقاؤه الذين تعلموه، وأتقنوه وتخصصوا فيه، وحينما يحتاج الإنسان إلى رأى ما، فواجب عليه أن يسأل صاحبه الذى تخصص فيه، يقول تعالى: ﴿ **فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون** ﴾ [(١)].

ذلك أن أهل التخصص يجيدون الفتوى فى موضوعهم، ويعرفون طريق الصواب فى الأمور التى يشيرون فيها، وقد درج الناس جميعا منذ القديم على توجيه السؤال إلى من يعرف صوابه، أو من يظن فيه ذلك.

إن اشتمال الخطبة على أقوال أهل التخصص يقنع المخاطبين بسهولة، ولذلك كانت أقوال الحكماء والأئمة مفيدة فى بابها، وأصبح الاستشهاد بها أمرا ضروريا على الخطيب أن يستعين بها حتى يصل إلى غرضه، ومما يساوى ذلك الوقائع والأحداث الصادقة، لأن

---

(١) سورة النحل: ٤٣.

الانسان أكثر الفا بمثل هذا حيث إنه كالمحسوس المشاهد، بعدما رآه بعقله وعايَشَهُ بفكره ووجدانه.

إن الواجب على الخطيب أن يهتم بمثل هذه الأمور فى أدلته حتى يتمكن بسهولة من أداء دوره.

٢ ـ مواطن العقيدة :

التدين ميل فطرى فى الإنسان، لأنه حاجة من حاجات نفسه، ونزعة داخلية لا يستطيع العقل أن يفسرها، أو يقدم تحليلا لمكنوناتها.

وأصحاب العقائد على اختلافهم يحاولون اكتساب هذا الميل فى الانسان إلى جانبهم، حتى يطمئنوا إلى حقيقة الدوافع فى الانسان.

والدين يستطيع أن يحرك الوجدان، ويوقظ الهمم، وإن قوما لهم عقيدة يستطيعون من خلالها أن يزيلوا الجبال فى سبيل عقيدتهم، وتتزلزل الأرض تحتهم ولا يتزلزل الإيمان، والمسلمون الأوائل بسبب إيمانهم الخالص بدين الله، وحبهم المطلق لرسول الله ﷺ كانوا يندفعون فى الاتباع والتنفيذ لكل ما يسمعون، مضحين بالغالى والنفيس.

ومن أجل هذا كان على من يتصدى لعملية التأثير أن يلاحظ مواطن العقيدة فى المستمعين، فإن كانت العقيدة حقة استشهد بها فى خطبه، ونقل من نصوصها فى أدلته، وإن كانت باطلة استغل ما فيها من حق ليبطل باطلها به، وبذلك يحق الحق بلا تصادم أو صراع.

ومثال ذلك ما علمه الله عز وجل لرسوله ﷺ حيث قال تعالى: **﴿ يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله، فإن**

تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون ﴾ [(١)] فهو يدعوهم إلى الأمور المسلمة لديهم، ليثبت التوحيد، ويحق الحق.

والخطباء المسلمون عليهم أن يهتموا بهذا الشأن فى الدليل حتى يحققوا الاقناع واليقين.

٣ - العادات وآثار السلف : يتصرف الناس وهم مرتبطون بعاداتهم وآثارهم، وكثيرا ما نرى هذا الارتباط فى قوة لها تأثير ساحر على كل جوانب الحياة.

إن المبادئ الفطرية والعادة توأمان لا يعرف أيهما أسبق وجودا، أو أقوى أثرا، ومثل العادات فى قوة التأثير آثار السلف، ذلك أن الأحياء يتخذون أعمال سلفهم تكأة يعملون عليها، وإن دعوة الرسل قابلت عنادا من المقلدين الذى تمسكوا بمواريث أجدادهم، وكانوا دائما يقولون : **﴿ بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا ﴾** [(٢)] أو **﴿ إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون ﴾** [(٣)] وواجب على الخطباء أن يلاحظوا تأثير العادات القديمة وقت اعدادهم للخطبة حتى يتمكنوا من التأثير وحمل الناس على ما يريدون.

المرحلة الرابعة: «التعبير»

تدور هذه المرحلة مع الخطبة قبيل ظهورها إلى الناس، وتتصف بالأهمية والضرورة، لأنها مرحلة الإجادة لكل ما قبلها، أو ضعفها، فلا جودة لشيء بعدها، والتعبير الخطابى يحتاج إلى جمال الأسلوب، وموسيقى اللفظ، وينبنى على الفصاحة والبلاغة، ويؤمن

---

(١) سورة آل عمران : ٦٤.
(٢) سورة البقرة : ١٧٠.
(٣) سورة الزخرف: ٢٣.

بالتكرار والتأكيد، ويعرف الاستشهاد المؤثر، ويصاحب التمثيل الصوتى، والتعبير الحركي، وينادى بمراعاة حال السامعين وأفهامهم.

ولابد للخطيب أن يكون مع الناس بأسلوبه المبسط، ومعانيه السهلة، واقناعه الملزم، كما يحتاج الخطيب أن يتأدب بلسان القوم الذين هو خطيب بلسانهم، ويعلم متى تكون مخاطبته فى جميع أقاويله على أفضل ما جرت به عادة أهل ذلك اللسان.

وأن يكون كلامه واضحا، لا مبهما، وألا يكون أسلوبه مما يوهم الشيء وضده، فيضل السامع، وعليه أن يكون كلامه سهل التفسير، وأن يكون الكلام على وفق القواعد النحوية والفصاحة والبلاغة.

فإن هذا الزمان ابتلى بخطباء أبوا إلا أن يسجنوا سيبويه، ويغتالوا أبا الأسود الدؤلى - إن التعبير الخطابى يعتمد على الأسلوب والمعانى، ويحتاج إلى بلاغة اللفظة والجملة معا، لأنه لو اختل واحد من اللفظ أو الأسلوب أو المعانى لأدى ذلك إلى فقدان الخطبة رونقها، وضياع عنصر تأثيرها، ذلك لأن التأثير الخطابى لا ينشأ من اللفظ وحده، وإنما ينشأ بما بين اللفظ والمعنى من تناسق، وعن الملاءمة بينهما وبين مقتضي الحال.

ومن هذا كله نرى أن تحسين اللفظ يجب أن يكون بجوار تحسين المعنى، وأنه لا غنى للخطيب عن المعنى المحكم، لأنه عمود الكلام، والمقصد الأسمى، ولا غنى له عن اللفظ الجميل لأنه بهاء القول وزينته، غير أنه يجب أن يلاحظ أن يكون التحسين طبيعيا بلا تكلف واضح، وصنعة ظاهرة بل أن يكون فى جميع ألفاظه ومعانيه جاريا على سجيته، غير مستكره لطبيعته، وحسبك من ذم التكلف أن الله

عز وجل أمر رسوله ﷺ بالتبرؤ منه، فقال تعالى: ﴿ **قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين** ﴾ [(١)].

هذا، وفى الخطبة يجب أن يتميز اللفظ بأن يكون سهل الادراك، مكشوف المعنى، متفقا مع مألوف السامعين، لا يغرب عن تفكيرهم، ولا يشذ فى دلالته، ولا يكون وحشيا غريبا مستهجنا حتى لا ينصرف عنه المستمعون، وأن يكون اللفظ عربيا، بعيدا عن العامية، ناء عن التسفل، لأن ذلك يذهب رونق الخطبة ويضيع بهاءها، وأعظم ألفاظ الخطبة هى الألفاظ السهلة الممتعة، وواجب الخطيب أن يرفع العامة إليه، ولا ينزل هو إليهم، وأن تكون ألفاظ الخطبة مثيرة للخيال، موقظة للهمم، وذلك بأن تهيج الوجدان وتهز النفس بالسرور أو الحزن. إن الواجب على الخطباء أن يهتموا باختيار ألفاظهم خاصة وهم فى مرحلة الاعداد، لأن ذلك أدعى لأن يقدموا للجمهور خطبا جادة، تثير الوجدان، وتوقظ الهمم، وبذلك يفيدون ويستفيدون.

وإذا أحسنوا اختيار الألفاظ فواجب أن يكون الأسلوب كذلك، بحيث يكون متلائم الكلمات، متآلف التراكيب، بحيث تنساب الجمل من لسان الخطيب، كأنها نغم يلمس أذن المستمع، ويمده بالشجن والسرور.

وذلك بانتقاء التراكيب الجميلة ووضعها فى موضعها اللائق، والاطلاع على أساليب البلغاء ويتأمل سر اختيارها، وتفضيلها على غيرها، وبعد ذلك يستخلص ما فيها من خواطر ومعان. ولا بد للأسلوب أن يكون جامعا لعديد من فنون التعبير، وأن يتنوع بتنوع المقامات، وأن يلاحظ أحوال السامعين، وأن يلاحظ المقاطع الخطابية التامة المعنى، ويزينها بشيء من السجع بلا تكلف، والتوفيق من عند الله أولا وآخرا [(١)].

---

(١) سورة ص: ٨٦.
(٢) انظر بتوسع / دراسات فى فن الخطابة، وقواعد الخطابة.

ثانيا : محتويات الخطبة :

للخطبة أجزاء ومحتويات، لابد منها، وخاصة الدينية، وهى تعد خمسة أقسام:

القسم الأول :

«الافتتاح» وهذا القسم هو صدر الخطبة، لأنه أول ما يبدو من الخطيب، تشبيها له بصدر الإنسان، أو ما يظهر فى مقدمه.

وهذا الجزء من الخطبة هام وضروري، لأنه عنوانها، وجودة العنوان دليل على جودة المعنون له، ومن المعروف أن المستمع إذا فاجأه حسن الافتتاح تابع بقية الخطبة بشوق وشغف، وعاش مع جمالها اللفظي، ومعناها الدقيق، وحينئذ تكون الخطبة مشتملة على براعة الاستهلال.

ويرى بعض العلماء أن الافتتاح يكون حسنا إذا كان لائقا بموضوع الخطبة ودالا على المقصود منها من قريب أو بعيد، وفائدة حسن الاستفتاح أن يعرف المستمع من البداية الموضوع المراد من الخطبة، ويحيط بالهدف المقصود، ولو ضممنا إلى حسن الافتتاح أن الخطبة مناسبة مع المستمعين، لعلمنا يقينا أنها تلامس رغبة الجماهير، فيعايشونها من أول الافتتاح إلى نهاية الخاتمة، وحينئذ يؤدى الخطيب دوره، وينجح من أول بدئه لقوله.

وعلى الجملة فإننا نرى أن الافتتاح من الأجزاء الهامة فى الخطبة، لابد منه لها، ومع إصرارنا على ضرورته، إلا أنه يحسن ألا يكون طويلا بحيث لا يزيد عن عشر زمن الخطبة، ويبتعد عن الإسهاب والاطالة، ومع هذا لا نغفل فى الخطبة الدينية ما خطب به الرسول ﷺ ، أو افتتح به خطبه، بما يعرف بخطبة الحاجة.

القسم الثانى :

«**بيان الـغرض**» وهذا القـسم هو المقـصـد من الخطبـة، وهو العنوان، ويأتى هذا القسم مباشرة بعد الافـتتاح، وفيه يحمل الخطيب موضوع خـطبته للمسـتمعين ليتـهيأوا للتلقى والاسـتماع. ويجب أن يكون قصيرا، ومعبرا، ومتفقـا مع موضوع الخطبة وأهدافها، ومتناسقا مع الافـتـتاح بحـيث لا يشعر المسـتمع بالانـتـقال من قـسم إلى آخر منفـصل عنه، ويلاحظ أن يذكـره فى قـضـيـة عامـة لا يبنيـهـا على مقـدمات، وأن يأتى التعـريف بالغرض فى جـملة تثير خـيال النفس وتهزها لتنشط إلى سماع ما يقال، وتهز أوتار القلب لكل ما يجئ به [illegible].

ومن أبلغ المقدمـات التى اشتملت على مقصـد بليغ، قول: «على بن أبى طالب» ﷺ - فى إحـدى خطبه التى يحث فيـها على قـتال العدو، قال «أمـا بعد، فإن الجهاد باب من أبـواب الجنة، فمن تركه رغبـة عنه ألبسـه الله ثوب الذلة، وشمله البـلاء، وألزمه الصـغار، وسيمَ الخسف، ومُنعَ النصف، ألا وإنى قـد دعوتكم إلى قتال هؤلاء ليلا ونهاراً، وسراً وإعلانا... الخ.

القسم الثالث :

«**التقسيم في الأداء**» ويدور هذا القسم مع الموضـوع كله حيث يقسمه إلى أجزاء تفصيلية مـرتبة، ولا يصل إلى التقسيم الجيد إلا بعد الاعداد العلمى المنظم للخطبة.

والتقسيم له فوائـد عديدة تعود على الخطيب، وعلى الخطبة وعلى المستمعين.

أما فـوائده على الخطيب فإنه يدفعـه - أولا - إلى العناية بتحضـير خطبته ويجعله - ثانيا - ملتزما بموضوع خطبته، متمسكا بالأجزاء التى يذكرها فى تقـسيمه بحـيث لا يتعداها، ويبعـده - ثالثا - عن التكرار والإعادة، وبذلك يكون خطيبا موضوعيا موفقا.

وأما فوائد التقسيم على الخطبة ذاتـها، فإنه - أولا - ينسقها بترتيب عناصـرها وتسلسل أفكارها، وهو - ثانيـا - يجـعلهـا منحصـرة فى مـوضوعـها وحـده وبذلك تنأى عن الابتـذال والسقـوط، ويعطيهـا الشمولية أيضا.

وأما فـوائد التقسـيم للمستـمعين فإنه يوقـفهم على سيـاق الخطبة وأجزائها، وهذا داع إلى انتباه السامعين، وفهم المستمعين، وحرصهم على الادراك التـام، ومتـابعة الخطيب وهو ينتـقل من عنصـر لآخر، وهكذا.

القسم الرابع :

«الأدلة المؤيدة» وذلك عن طريق البيان والـتوضيح، والرد على المعارضين، وتفنيد دعاوى الخصوم.

١ - البيـان والتوضيح : فـبعد ما يشـير الخطيب لأجزاء خطبـته، ويوضح عناصرها الأساسـية يلجأ إلى شرحهـا، وتأييدها بما يؤكدها عند المستمعين، ويلونها فى أسالـيب متعددة من أجل الاقناع والتأثير، مسـتخـدما فى ذلك ما يكون فـى الخطبة من لفظ جمـيل، وأسلوب رقيق، وارتباط وثيق.

والخطيب الناجح هو الذى يستخدم سائر معـارفه في افهام خطبته للمستمع، وسائر الصور البيانية،

(أ) كالأسلوب القصصي الصحيح لما فيه من الأدب، وله جمال ومتعة تؤثر في نفوس الكبار والصغار، وقد استخدم القرآن الكريم هذا الأسلوب، فحدثنا عن قصص الأنبياء السابقين، وحال أممهم، ومما كان يُذَكِّرُ به النبي منهم أمته بحال من سبقهم للعظة والاعتبار، والترغيب والترهيب.

وأن على الخطيب الكفء أن يستفيد بالقصة - أسلوبا ومنهجا - عن طريق اختياره للمناسب من أحداثها وعرضه أمام مستمعيه، واحاطة كلماته بجو مؤثر مفيد.

(ب) وكذلك الأسلوب المجازي، وهو الأسلوب الذى يلون الأقوال بالتشبيهات والمجازات والكنايات، وفائدة هذا الأسلوب تأتى من حيث تقريب البعيد ، وتجسيم المعنوى بالمحسوس، وبيان الغامض بالواضح، كما أن ايصال المعنى بصور بيانية متعددة هو البلاغة الحقيقية.

(جـ) الأسلوب المنطقى : وهو الأسلوب الذى يستعمل فيه الأمنية المنطقية بعد أن يشكلان بالأسلوب الخطابي، وذلك بأن يطوى بعض المقدمات، ويضمرها فى ثنايا الخطبة، أو يثبت دعواه بابطال نقيضها. وهو ما يعرف بـ «قياس الخلف» أو يثبت الدعوى بالحاقها فى حكم كلى مقرر عند المستمعين، وهو ما يعرف بـ «التمثيل».

٢ - المناقشة والتحليل : والمناقشة تعنى الرد على معارضات الخصم الذى يضاد موضوع الخطبة، وهذه المعارضات يعرفها الخطيب بدراسته لاتجاهات الأفراد والجماعات والأفكار السائدة فيهم. وذلك

بأن يسجل الخطيب الحقائق التى جمعها، ويجادل فيها، ويقيم الدليل عليهـا، ويفند الدليل المعارض، وبذلك يثبت قـضيته، ويؤكد الـبيان بنفى ما يناقـضه، ويجب أن يهـتم الخطيب فعلا بالتـفنيد؛ لأهميـته، وابطال دليل الخـصم الذى يراه حـقـا فى رؤيتـه، ولـو على طريق الاستـدراج، أو المجاراة، أو التصـدى، ويجب أن يلاحظ أن مرحلة ذكـر الأدلة يجب أن تحـفل بالنصـوص ذات الأثر القـوى عند المستـمعين؛ لأن النصـوص الموثقة أدعـى إلى التصديـق، وأسرع فى الاقناع والاستمالة، وهى برهان الصدق ودليل الحقيقة.

القسم الخامس : «الخاتمة»

لا جدال فى أن هذا القـسم أقصر أقـسام الخطبة، ولا يعنى قـصر الخاتمة أنها لا فائدة فيها. بل لابد أن تكون الخاتمة قوية التأثير، عميقة الدلالة على موضوع الخطبة، لأنها توجز الموضوع فى كلمات قصيرة تبثها فى آذان المستمع يحفظها، وبذلك يستمر حفظه للخطبة كلها.

إن حسن الخـتام لا يقل أهميـة عن براعة الاستهـلال، وإن كانت المقدمـة تعد السامع للتـأثير، والبيـان يعده للانتبـاه، والتقسـيم يعده للتركيـز، والاثبات يجعله يقتنع ويصدق، فـإن الخاتمة تودع الموضوع كله بحسنها ورونقها.

ولقد دأب الخطبـاء أن يجعلوا الخاتمة ايجازا لما سـبق أن خطبوه، وبعضـهم يركزها فى فكرة رئيـسية. ونحن نشـجع التركـيز فى فكرة رئيـسيـة مع تأييـدها بأثر يحـييـها، لأن الخـاتمة لا تحـتمل النقـاش والتقسيم، ويجب أن تساق هذه الفكرة فى صـورة بليغة جميلة، انظر

فى خواتم سور القرآن تجدها فى غاية الحسن، وغاية الدلالة على موضوع السور مع تضمنها على ما يؤذن بانتهاء الكلام حتى لا يبقى انتظار عند المستمع.

ومن أحسن ما أذن بالختام، خاتمة سورة إبراهيم **﴿ هذا بلاغ للناس ولينذروا به...﴾** [١] ومثلها خاتمة الأحقاف، وأيضا سورة الحجر **﴿ واعبد ربك حتي يأتيك اليقين ﴾** [٢] وانظر إلى سورة الزلزلة، كيف بدئت بأهوال القيامة، وختمت بقوله **﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره. ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ﴾** [٣].

وبناء عليه، فعلى الخطيب أن يبذل وسعه فى الاحاطة بالأقسام التى تحويها الخطبة ليقدر على الأداء السليم، لأنه لو ضم إجادة التقسيم إلى فطرة مستعدة لكان خطيبا ناجحا فى رسالته، وعليه كذلك أن يجعل الأقسام مترابطة متسلسلة، بحيث لا يشعر المستمع بانتقاله من قسم إلى قسم آخر بعده، لينجو بخطبته من التفكك والضعف، وحتى يملك عنصر التأثير فى مستمعيه. وحرصه على الإخلاص لله تعالى من قبل ومن بعد، ونسأل الله الهداية، والتوفيق [٤].

---

(١) سورة ابراهيم ٥٢.
(٢) سورة الحجر ٩٩.
(٣) سورة الزلزلة ٧، ٨.
(٤) انظر بتوسع: قواعد الخطابة ص ٥٩ - ٧٣.

ثالثا : أنواع الخطبة :

الخطابة ليست نوعا واحدا، وإنما هى أنواع نجملها فيما يلى :

١ - الخطابة الوعظية : وهى الخطبة التى تتم فى دور العبادة، وتتعلق بالعقيدة والإيمان، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وما يرتبط بأمور الدين، وما يصلح الناس فى أمر دينهم وآخرتهم.

٢ - الخطابة السياسية : وهى الخطبة التى تدور حول الشئون العامة للدولة وتشمل الخطبة الانتخابية، والبرلمانية.

٣ - الخطابة القضائية : وهى الخطب التى تلقى فى دور المحاكم من النيابة، أو من المحامين أو من المتقاضيين.

٤ - الخطابة العسكرية : وهى الخطب التى تلقى فى الجنود ورجال الجيش.

٥ - الخطابة المحفلية : وهى خطب التأبين والمدائح ومحافل الفرح والتهانى.

ويلاحظ أننا آثرنا تسمية النوع الأول بالوعظ، لأن الإسلام دين يشمل كل جوانب الحياة : عسكرية، وقضائية وسياسية، وغيرها، والخطب فى هذه الجوانب جميعا دينية بالضرورة، ومن هنا تعد الخطابة الوعظية جزء من الخطابة الدينية [١].

كما نشير أيضا إلى أننا نكتفى هنا بتفصيل القول عن الخطابة الوعظية، فحسب، وذلك لأهميتها لطالب الدعوة دون غيرها من أنواع الخطب، والتى يمكن تفصيل القول عنها فى مظانها [٢]،

---

(١) قواعد الخطابة ص ٧٧ بتصرف.

(٢) انظر بقية الأنواع بتوسع فى الكتب المشار إليها.

فنقـول: ـ وبالله التوفـيق : «الخطابة الوعظية» مـا موضـوعهـا، وما أهميتها، وما خصائصهـا؟ وما حالها اليوم، وما هى طريقة النهوض بها ؟

أولا : موضوع الخطابة الوعظية :

يدور موضوع هذا النوع حول تكاليف الدين، أمرا أو نهيا، إذ من المعروف البـدهى أن الأديان لا تنتشـر ولا تزدهر إلا بالدعوة إليـها، ومن هنا كان لكل دين أنصار وأتباع يتـولون الدعوة إليه مع رسولهم أو بعـده، وقد رأينا بنى إسـرائيل وهم يواصلون دعـوة موسى عليـه السلام، وهؤلاء هم حـواريو المسيح يناصـرونه بالتأييـد والدعوة إلى دينه، وعلمـاء المسلمين قـد كلفـوا بالدعـوة إلى دينهم مـا دام على الأرض إنسان.

يقول الإمام الغزالى فى كتـابه «الإحياء» : الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر هو القطب الأعظم فى الدين، وهو المهم الذى ابتعث الله له النبيين، ولو طوى بسـاطه، وأهمل علمه وعمله لتـعطلت النبوة، واضـمحلت الديانة، وعـمت الفـترة، وفـشت الضلالة، وشـاعت الجهالة، واسـتشرى الفساد، واتسع الخـرق، وخربت البلاد، وهلك العباد، ولم يشعروا بالهلاك إلا يوم التناد.

وبقدر حـاجة الإنسان إلى الدين تكون حاجـته إلى هذا النوع من الخطابة، ولا يمكنه الاستغناء عنه أبدا.

ثانيا : أهمية الخطابة الوعظية :

تبدو أهمية الخطابة الوعظية من تتبعنا لتاريخ الإنسان نفسه، حيث نشاهده يبتلى بالأهواء المنحرفة التى تبعده عن طريق الله تعالى، خاصة وقد رأينا أصحاب النِحَل يبذلون المشقة والجهد من أجل انحراف الإنسان، ولو استعرضنا التاريخ لوجدناه مؤسفا بحق، حيث تزيد فترات انحرافه على فترات صحوه، ويظهر أن أبالسة الإنس يتربصون بالإنسان، فإذا مات الرسول دبت الخلافات فى أمته على الفور، وقد اهتم الدين الإسلامى على الخصوص بتوجيه أتباعه إلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وكلفهم أن يدوروا به فى اتجاهات ثلاثة :

١ ـ يكون بين أفراد الأمة الإسلامية، علماء وجهلاء، حيث ألزم الدين كل مسلم بتوجيه أخيه إلى ما ينفعه، فيقول عليه الصلاة والسلام. «الدين النصيحة، قلنا : لمن يا رسول الله؟ قال : لله ولكتابه ولرسوله وللأئمة المسلمين وعامتهم»[١].

٢ ـ دعوة الجماعة الإسلامية لغيرها من المسلمين، ذلك لأن الحياة واسعة الاختصاص والأعمال، وقد شرع الله أن تتخصص جماعة فى الدعوة إلى الله، وأوجب على هذه الجماعة أن تدعو غيرها من المسلمين، فقال تعالى : **﴿ فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون ﴾**[٢].

٣ ـ دعوة الأمم غير الإسلامية إلى الدخول فى الإسلام، فقال

---

(١) أخرجه البخارى ومسلم.
(٢) سورة التوبة : ١٢٢.

تعالى : ﴿ **ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون** ﴾ [(١)] وعلى الجملة فإن الأمة الإسلامية مكلفة جميعا بالمساهمة فى الدعوة إلى الخير ونشر دين الله وحث الناس على تطبيق تعاليمه، يقول عليه الصلاة والسلام : «من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان» [(٢)].

وغير خاف بعد ذلك أن نعرف أن مصادر الوعظ هو القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة، وخلاصة أفكار المخلصين من العلماء المسلمين الذين لا يخرجون عن الكتاب والسنة، ويعتبر النبى ﷺ هو إمام الوعاظ فى خطبهم وارشادهم، كما أنه الإمام فى سائر الشئون».

ثالثا : خصائص الخطابة الوعظية :

تتميز الخطابة الوعظية بالأمور الآتية :

١ - الاستهلال بحمد الله : فلا بد من استفتاح الخطبة الوعظية بتحميد الله تعالى، وإلا سميت الخطبة «بتراء» لسقوط بدايتها، ويجب أن تتوشح بآيات من القرآن الكريم وتتزين بالصلاة على النبى ﷺ، وإلا سميت «شوهاء»، وفى خطب الجمعة تقترن الحمدلة بالشهادة، وإلا كانت «جذماء».

إن خطباء العصر الأول كانوا يعتبرون الحمدلة والتشهد والقرآن، فوق أنها أجزاء للخطبة كانوا يعتبرون ذلك استعانة على النجاح لدرجة أنهم كانوا يختمون خطبهم بنحو ما يستهلونه به،

(١) سورة آل عمران : ١٠٤.

(٢) البخارى ومسلم.

كقول عمر بن الخطاب ﷺ فى نهاية خطبة له : «فاحمدوا الله - عباد الله - على نعمه، واشكروه على آلائه، جعلنا الله وإياكم من الشاكرين» وكقول أبى بكر ﷺ «اللهم اجعل خير زمانى آخره، وخير عملى خواتمه، وخير أيامى يوم لقائك».

يروى ابن عبد البر أن القوم كانوا إذا سمعوا هذا القول من أبى بكر عرفوا أنه قد فرغ من خطبته.

٢ - مراعاة مقتضى الحال : وذلك بأن تكون الخطبة قصيرة موجزة إن كان موضوعها سهل التناول، خاليا من المعارضة والتنازع، أما إن كان الموضوع شائكا يتعلق بأمر فيه الاختلاف، فيجب أن يكون طويلا ليشمل سائر جوانب الموضوع. ولقد كان النبى ﷺ يقول لأصحابه: «أطيلوا الصلاة، واقتصروا الخطبة» [(١)]، ويوصى أبو بكر ﷺ يزيد بن أبى سفيان حيث وجهه لفتح الشام، فيقول له : «فإذا وعظت جندك فأوجز، فإن كثير الكلام ينسى بعضه بعضا» [(٢)].

وحينما وقع الاختلاف المذهبى والسياسى بين المسلمين طالت الخطب، واتسعت لتشمل البيان والتفنيد والدفاع.

٣ - الارتباط بالقرآن الكريم : وذلك أن القرآن الكريم هو دستور الدعوة وقد حفظها للناس، وبين فى ثناياه وسائل التأثير، والمطلع على علوم القرآن الكريم يعرف الدور التأثيرى للقصص القرآنى، والقسم فى القرآن، وغير ذلك فى دقته وهدفه.

ولذلك لا بد من اشتمال الخطبة على آيات من القرآن الكريم، فإن ذلك مما يورث الكلام البهاء والوقار والرقة وحسن الموقع» [(٣)].

---

(١) رواه مسلم.
(٢) الكامل لابن الأثير ص ١٩٦.
(٣) البيان والتبيين، بتصرف.

٤ ـ الإعداد الدقيق: تحتاج الخطابة الوعظيـة إلى كثير من الاعداد حتى تأتى مناسبة لمقامها مطابقة لأدلتها من القرآن الكريم، وهى أكثر أنواع الخطب حاجة إلى العناية والتجهيز.

وأغلب الذين يفشلون فى مـواعظهم لا يعدون لها، ويتـخيلون أن الموعظة كلمـات يحفظونهـا، ويلقونهـا فى كل مناسـبة مـهمـا كان اختلافـها عن موضـوعها، ولذلك نجد هؤلاء عـديمى الفائدة، قليلى الأثر.

ولذلك كـان النبى ﷺ يختـار ألفـاظ مواعظه بدقـة متناهيـة، فيستـخدم المبسوط فى موضع البسط، والمقصـور فى موضع القصر، ويهجر الغريب الوحشى، ويرغب عن الهجين السوقى.

وكان النبى ﷺ يـوجه أصحـابه للتدقيق فـى اختيـار الألفاظ، ولذلك كانوا يعـدون خطبهم قبل إلقـائها توخيـا لإجادتها، وخشـية العجـز عنها، كمـا روى عن عمر بن الخطاب قـال يوم السقيـفة : «أتيناهم وقـد كنت زورت «أعددت» كلامـا أردت أن أقوم به فـيهم» وهكذا كـان الخطباء يخـشون اعـتلاء المنابر يوم الجـمعـة والعيـدين والاستسقاء، وهذا دفعهم لإعداد الخطب، على نحو ما سبق ذكره.

٥ ـ الارتباط بالعقل والوجـدان : الموعظة في حقيقتهـا توجيهات تفـيد القـرب النفسـى بين الخطيب ومسـتمـعـيه بما تشـمل من اثارة الانفعـال، وايقاظ الشـعور، مع وضـوح أن الخطيب يقصـد النصح والإرشاد، مـا دامت الموعظة هكذا فلا بـد لها من الارتباط بـالعقل والوجدان، وهذا يحتاج إلى الأمور التالية :

(أ) إيمان الخطيب بما يـقولـه وحرصـه علـى اقناع المخـاطبين برأيه واستـمالتهم إلـيه، ولا يمكنه ذلك إلا إذا أظهر نصـائحه القـولية فى

تطبيقاته العملية، لأن الناس أكثر إلفا بالأعمال من الأقوال، وأكثر تتبعا لها، ولعل هذه النقطة أخطر ما يحتاج إليه الخطيب المعاصر حيث وجه النقد إلى من اتخذوا الوعظ وظيفة لهم، وقصروا رسالتهم على توجيه الأقوال دون أن يطبقوا شيئا، فأساءوا إلى الوعظ أكثر من أن يفيدوه.

(ب) الالتجاء إلى أساليب التوكيد المختلفة. من أمثال ذلك ما نجده في أقوال النبى ﷺ يوم حجة الوداع حيث كرر «ألا هل بلغت، اللهم فاشهد» وما تجده فى قول «أبى بكر» ﷺ حين توليه الخلافة «ألا إن القوى فيكم ضعيف حتى آخذ الحق منه، والضعيف فيكم قوى حتى آخذ الحق له».

ومن أمثاله أيضا ما نجده فى قول «على» ﷺ : «أى دار بعد داركم تمتعون، ومع أى إمام بعدى تقاتلون، ما بالكم؟ ما دواؤكم، ما طبكم؟ القوم رجال مثلكم، أقولا بغير علم، وغفلة من غير ورع، وطمعا فى غير حق؟».

(جـ) الاعتناء بالجمال اللفظى، لأن ذلك أدى للانتباه واليقظة، كما سبق شرحه.

٦ - الدعوة إلى الخير المطلق : ترتبط الخطب الوعظية بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر دائما، ولذلك فهى خير دائما، ومفيدة للبشر أجمعين، وهى تأتى غنية بأفكارها، مشتملة على عناصر الخطبة ومحتوياتها على النحو السابق ذكره. ويلاحظ كذلك أن هذا النوع من الخطب يوجه إلى المسلمين تثبيتا للإيمان، وتعليما للدين، ويوجه إلى غير المسلمين دعوة لهم إلى الإسلام، وردا على شبهاتهم.

ويلاحظ كذلك أن المواعظ الإسلامية تغاير سواها بدقة أفكارها وبشمولها لكافة الموضوعات [1].

---

(١) قواعد الخطابة ص ٧٨ - ٨٤ بتصرف.

رابعا : حالة الخطابة الوعظية اليوم :

نلاحظ أن الخطابة الوعظية اليوم فى أغلبها تحتاج إلى عناية أكبر نظرا لعجزها عن القيام بدورها.

ويمكننا أن نرجع سبب هذا العجز إلى أحد الأسباب الآتية :

(أ) عدم التزام الخطباء بالأصول العلمية للخطبة، حيث نجدهم - مثلا - يجعلون للخطبة الواحدة موضوعات شتى تدور مع الفضائل والرذائل، وداعية ومنفرة، وهذا الوضع فى نظرنا هو الافلاس العلمى للخطباء مما يجعلهم يعجزون عن الالتزام بموضوع واحد ولا يقدرون على العمق العلمى فى هذا الموضوع.

إن الخطبة موضوع واحد له عناصر وليس بحثا له موضوعات، ويجب أن يفرق الخطيب بين الخطبة والبحث. ويمتاز بعض الخطباء ويكون لهم التأثير الرائع لأنهم يلتزمون بالموضوع الواحد ويخدمونه بعلمهم وقراءاتهم، فيفهمهم الناس ويستفيدون منهم، وهؤلاء نقدمهم دليلا لتعرف به أثر تعدد الموضوع فى عدم جدوى الوعظ، وفى نفس الوقت ننادى بضرورة الالتزام بالموضوع الواحد المناسب للمستمعين.

(ب) ومع تعدد الموضوع فى الخطبة الواحدة، فإن الخطيب لعجزه يعود ويكرر المعانى الواحدة مع كل موضوع مع استبدال لفظ بمرادفه، وهكذا يستمر يدور حول نفسه بعيدا عن التأثير والاستمالة.

(جـ) التزام بعض الخطباء بالخطب المكتوبة من فترة طويلة، والتى ألفت على عدد أيام الجمع وتدور مع السنة كلها، ورغم أنها ألفت

لعصرها فقط، فإننا نشاهد العديد من خطباء هذه الأيام يتمسكون بها.

إن تكرار هذا النوع جعل المستمعين يحفظون هذه الخطب، فإذا ما بدأ الخطيب موعظة سبقه الناس إلى النطق بما سيقوله، وكم سمعنا عن أعاجيب لا تكاد تصدق، لولا أن الإنسان شاهد هذه الأعاجيب بنفسه.

إن الخطبة يجب أن تلامس مشاكل الناس، تحللها وتقدم لها العلاج من الدين، وبذلك تتمكن من التأثير والاقناع.

(د) عدم مراعاة الخطبة للمستمعين، وهذا يحدث أحيانا من محاولة فرض خطبة واحدة على سائر الأقاليم، أو عدم ملاحظة الخطيب لأوضاع مستمعيه.

(هـ) عدم التزام الواعظ لما يعظ به الناس، فيخالف قوله عمله، ومن هنا نجد الناس الذين يستمعون الموعظة لا يتأثرون بها، يقول مالك بن دينار: «إن العالم إذا لم يعمل بعلمه، زالت موعظته من القلوب».

وهذه الأسباب أدت إلى ندرة فائدة الوعظ، وقلة تأثيره في الناس، ووضعه في صورة سيئة، ولما كان هذا الحال ضارا بالأمة والأفراد، فإن الواجب المحتم أن يقوم المهتمون بالدعوة بإصلاح حال الوعظ ليتبوأ مكانته الطبيعية بين الناس، وبذلك ينجو المجتمع من عقوبة التقصير، ويفيدون الإنسان أمما وأفرادا [(١)].

(١) أصول الخطابة ص ٢٢٣ ـ ٢٤٢ بتصرف.

خامسا : طريقة النهوض بالوعظ :

من الواجب أن ننهض بالخطابة الوعظية، وطريقة النهوض تأتى بالأمور التالية :

أولاً : إخلاص الخطيب الواعظ لدعوته :

وهذا الإخلاص لا يتأتى إلا بتطابق القول مع العمل، فعلامة صدق القول مطابقة العمل، بل هو الصدق فى الحقيقة عند العلماء، وحينما نهى النبى ﷺ عن الربا ووضع الدماء، لم يكتف بالقول، وإنما قرن نهيه بالفعل والتطبيق على نفسه وأهل بيته، فقال : «وأول ربا أضعه ربا عمى العباس، وأول دم أضعه دمنا، دم ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب».

إن الواجب على الواعظ أن يتعظ ثم يعظ، ويتبصر ثم يبصر، ويهتدى ثم يهدى، ولا يكون دفترا يفيد ولا يستفيد، ومسنا يستحد ولا يقطع، وسراجا يضئ للناس ويحرق نفسه، إنه لو أخلص لاستفاد وأفاد.

ثانيا : الاحاطة بنوعية الموعظة :

وهذه نقطة هامة يحتاج إليها الواعظ لأنها تمكنه من شمول النظرة فى الموضوع وعمق الاستدلال والبيان.

وقد بين الأستاذ محمد أبو زهرة أنواع المواعظ الدينية، وركزها فى موضوعات أربعة هى :

١ ـ الدعوة إلى الإسلام أو الدفاع عنه.

٢ ـ التعليم الدينى للعامة.

٣ - تثبيت الإيمان وتقويته.

٤ - الاصلاح العام للمجتمع [١].

ويجب على الخطيب أن يستعد للإحاطة بكل موضوع، لأن الموضوع الأول يحتاج من يقوم به إلى إلمام بالمِلَل والنِحَل، وبالمنطق والجدل، وتحتاج المواضيع الثلاثة الباقية إلى إلمام الواعظ بطرق الإثارة، والاستمالة، وقصص القرآن الكريم، وسيرة النبى ﷺ، بالإضافة إلى معرفة تامة بنفسية الموعوظين، وطريقة التأثير فيهم، ومعرفة عاداتهم وطباعهم، لأن هذا كله يمكن الواعظ من تحديد موضوعه، والإحاطة بجوانبه المختلفة، وطريقة الاستدلال عليه بالمناسب وبيانه البيان المطلوب.

ومما يساعد الخطيب على الدقة فى اختيار الموضوع والتزامه على النحو المراد أن يتمتع بالجوانب الآتية : -

(أ) المعرفة التامة بالدعوة الإسلامية.

(ب) المعرفة بالمدعوين.

(جـ) المعرفة بلغة المدعوين.

ثالثا : التزام الأصول العلمية للخطبة :

بعد إخلاص الخطيب لموعظته، واحاطته بموضوعه والتزامه باللغة، فإن عليه أن يلتزم بأصول الخطبة الوعظية.

فإن كانت موعظته فى الدعوة إلى الإسلام فإن عليه أن يتخير من مبادئ الإسلام ما يكون أحب لقلوب المستمعين، وأن يعتصم بالمنطق والبرهان، وإذا كانت الموعظة فى تعليم العامة، فإن عليه أن يبتعد عن

---

(١) أصول الخطابة. ص ٢٢٣ - ٢٤٢ بتصرف.

الشروح الفلسفية، وعن مواضع الخلاف، وأن يستدل كثيرا بالقرآن الكريم، والسنة النبوية.

وإن كانت الموعظة فى تثبيت الإيمان فإن عليه أن يبين فضائل الإسلام، ويتخير من الآيات والأحاديث ما يؤيد الإيمان ويشرحه.

وإن كانت الموعظة فى الإصلاح العام للمجتمع، فإن عليه أن يتخير عيبا واحدا ويجعله موضوع خطبته ويجمع حوله الأدلة المفيدة، ومع تخير المناسب لكل موضوع فإن عليه أن يلحظ محتويات الخطبة وأقسامها ليوفى كل قسم حقه.

رابعا : ربط الوعظ بالمجتمع :

نريد من الواعظ أن يهتم بهذا الأمر ويربط موعظته بمستمعيه ويتخير أهم حاجات الناس ويبين رأي الدين فيها، وعلاجه لها، لأنه لو لم يحقق هذا الربط لوجب عليه أن يجيبنا على سؤال ضرورى سوف يسمعه : ما فائدة الدين إذا لم يعالج مشاكل الحياة ؟

إن الإسلام يدعو إلى التمتع بالحياة، والأخذ من طيبات الرزق، والانتفاع بالدنيا، وتعمير الكون بالعمل والانتاج، والنصوص التى تذم الدنيا يراد بها التحذير من التكالب عليها مع عدم القيام بالواجب.

والخطيب الناجح هو الذى يفهم هذا، ويدعو الناس إلى الخير، بالانتفاع من كل هذا، لا نريد من الخطيب أن ينعزل عن جمهوره، أو أن يعتمد على خطب مكتوبة، أو أن يركز على السلبيات الاجتماعية.

إننا نريد من الخطيب أن يهتم ببناء النفوس، وإصلاح المجتمع، وأن يصل الدين بالحياة أو يُقَوِّمُ الدنيا على أمر الدين[1].

---

(١) قواعد الخطابة ص ٨٦ - ٩٤ بتصرف.

سادسا : بين الخطبة وأشباهها من فنون القول :

الخطبة أقوال مؤثرة ومقنعة، تساعد من أجل تحقيق هدف معين، ولما كانت هكذا فإننا نجد لها أشباها من فنون القول الأخرى، فنذكر بعض الفروق بينها وبين غيرها كالمناقشة والمحاضرة والمناظرة والدرس.

فمثلا : المناقشة فن من فنون القول له أصوله وتطبيقاته، وفوائده، ولكنها أقوال جماعية يقوم بها عدد لا يقل عن ستة، ولا يزيد عن عشرين لتسهيل المناقشة، ويمكن الاتفاق، ويتم فيها تبادل الأفكار حول موضوع يهم الجماعة، وايجاد الحلول المناسبة له، وهى بهذا تخالف الخطبة، وكذلك الخطيب وحده هو الذى يقيمها بعد إلقائها، بينما المناقشة ينظمها الموجه ويقيمها الجميع اعتمادا على مشاهداتهم الشخصية، وما دَوَّنه الملاحظ.

والمناقشة ليست هى المناظرة، لأن المناقشة فى هدف واحد، واتجاه نسبة واحدة، وتكون تعاوناً بين أشخاص عديدين، بينما المناظرة هى توجه المتخاصمين إلى موضوع واحد بهدف مغاير لكل منهما، حيث إن كلا من المتخاصمين يريد اثبات عكس ما يريده الآخر.

وبذلك اختلفت المناظرة عن الخطبة أيضا، لأن الخطبة من قائل واحد للمستمعين، وللمناظرة أصولها، ويجب أن يتبعها المناظر الداعية لكى يصل إلى نتائج طيبة، ولا يتحول إلى مجادل يقصد إلزام الخصم فقط، ولا يصير مكابرا يهدف إلى العناد فقط، وكذلك بالنسبة للمحاضرة، فعلى الرغم من التشابه الكبير بين المحاضرة والخطبة، إلا أن بينهما فروقا، منها : سعة موضوع المحاضرة عن موضوع الخطبة، وغلبة أسلوب تقرير الحقائق وتثبيته المعانى على

المحاضـرة، وكذلك الاعتمـاد على المنطق والتحليل والتوضـيح، أما الخطبة فيغلب عليها صبـغة اثارة العواطف والمشاعر، وتهييج الدوافع والانفعالات. وأيضا المحاضرة تستغرق وقتا طويلا، أما الخطبة فوقتها قصير، وجمهور المحاضرة من الخاصة غالبا، بينما جمهور الخطبة من سائر الطوائف.

وأما عن الدرس فـقد جرى العرف بين العلمـاء أن الدرس هو ما يؤديه الخطبـاء الوعظيون فـي دور العبـادة على صورة شـرح آية، أو تفسير حديث، أو ذكر أقصوصة تاريخية.

والشبه بين الخطبـة والدرس واضح إلى حد كبير، فهـما يخاطبان العقل والروح، إلا أن فائدة الدرس أشمل، لأن المـستمع يتمكن من الاستفسار عن ما يجول بخاطره، وبذلك تكون فائدته أعمق وأدق.

وإن الدرس أصعب من الخطبة، لأن الخطبة تنحصر فى موضوع لا تتعداه، وكافة الأدلة فيـها تؤخذ من الوجه المناسب للخطبة بلا تناول الوجوه الأخرى، بينما الدرس يتعدى موضوعه بسبب روح الاستطراد الموجودة فى الدرس، وبسبب أسئلة المستمعين، ومن هنا نجد فيه الدقة وعمق التأمل والوجوه المتعددة فى النظرة الواحدة.

وإن الخطيب عليـه أن يَجِّد فى هذه الأنواع ليـؤثر فى مـستـمعـيه ويفيدهم ويستفيد، وذلك بكثرة دروسه التى تلزمه بكثرة اطلاعه، وأن يعقد بين الحين والحين الآخـر محاضرة فى موضوع يخـتاره، ويدعو إليه الناس لكى يلون فى أسلوبه لأن ذلك أجدى لدعوته، وأكثر فائدة فى مهمته [(١)].

---

(١) قواعد الخطابة ص ١٤٢ ـ ١٤٩ بتصرف.

الفصل الثانى

الركن الثانى : «الخطيب»

الخطيب هو صانع الخطبة، وموجهها إلى الناس من أجل التأثير والاقناع وحمل المستمعين على هدف يعرفه ويقصده، والخطيب هو الذي يلون العالم بصورته الإنسانية وفنيته المؤثرة، وأى إصلاح للتطبيق الخطابى يعتمد على قدرة الخطيب الفنية، وتمكنه من قواعد الخطابة.

إن كل ما درس ـ وما سبق أن ذكرناه ـ وصايا نهمس بها فى أذن الخطيب لكي تأخذ صورتها المؤثرة، ودورها.

إن المظاهر العلمية فى الحياة المعاصرة هي التي تجعلنا نؤمن بضرورة هذا الخطيب وسهولة تكوينه،وامداده بقواعد العلم، وفن التطبيق، ليساهم كعامل له دوره البَنَّاء في صناعة الأجيال.

وتنوع وسائل الإعلام تؤكد لنا جدوى الخطيب الناجح، لأنها جميعاً تعرف أهميته فى التأثير، وأيضاً فإن عملية الإعلام ذاتها تحتاج إلى الخطيب فى تقديم البرامج.

وتفرع العلوم وتنوعها، تدعيم للخطيب لأنه يستغلها جميعاً، من أجل معرفة أصول الخطابة، وفهم المستمعين، وتخير وسائل التأثير والإقناع.

إن العصور القديمة والحديثة تؤكد على أهمية الخطيب، وتعرف علو مكانته، وتري ضرورة الاهتمام بتكوينه وتربيته، ونحن نرى أن الخطيب الناجح أمل يجب الوصول إليه فى العصر الحديث من أجل صالح المجتمع، وتبليغ الدعوة الإسلامية، ويجب أن تتعاون كافة

الأجهزة المعنية بهذا الواجب، خاصة وأن الممتازين من الخطباء قلة لا تتمكن من القيام بكافة المهام وحدها.

وفى هذا الفصل سنحاول معتمدين على الله أن نرسم أسساً لتكوين الخطيب، ونبين أهم الصفات التى تمكنه من النجاح فى مهتمه.

أولا: الخطيب بين الفطرة والاكتساب

يولد الإنسان ومعه بعض الصفات الموروثة من أبويه، ويكتسب باقي صفاته من بيئته وأقرانه، وقد اصطلح على تسمية الصفات الموروثة بالصفات الفطرية، وتسمية الصفات الأخرى بالصفات المكتسبة، وإن الخطابة الفطرية لا تتمكن من القيام بدورها وحدها في هذا العصر، ولابد للخطيب من ممارسة واستعداد، وفهم وتعلم حتى يستطيع النجاح.

إن من يقول بالفطرة المجردة للخطيب لا يلامس الصواب في شيء، لأن معني ذلك الغاء دور التربية وأثرها فى تكوين الإنسان وتنشئته، مع أن أثرها لا ينكر أبداً.

وكثيراً ما ترى أشخاصاً يملكون موهبة الخطابة. لكنهم لم يصقلوها بالتعليم والممارسة مما أدى إلى عجزهم عن مباشرة الخطابة، وبذلك قتلوا موهبتهم.

وأيضاً فإن الخطابة عند الخطيب صفات بيانية، وملاحظة نفسية، وترتيب عقلى منظم، ومن المعلوم أن الصفات البيانية نتاج طبيعي لتعلم علوم اللغة والأدب والبلاغة، والملاحظات النفسية آثار ضرورية لإجادة فن علوم الاجتماع والنفس بفروعها المختلفة. والتنظيم العقلى

المرتب أحد الآثار التى يحققهـا تفهم علوم المنطق والكلام والفلسفة والخطابة.

وما دامت الصفات الأساسيـة الموجودة للخطبة آثاراً لعلوم مختلفة فإنها تكون اكتساباً يتحقق بالدراسة والتعلم.

وأيضاً فإن كـثيرا من الخطباء المجيـدين بدأوا فى عى وعجز، ولم يصلوا إلى درجة الاجادة إلا بالتعلـيم، فهذا «واصل بن عطاء» شيخ المعتزلة، وجد نفسه عاجزاً عن الخطابة الجيدة بسبب اللثغة التى نشأت معه فى حرف الراء، لما وجد نفسه كذلك لم ييأس ولم يترك الخطابة ولم يبتعد عن الناس، وإنما أخذ يُقَـوِمُ نطقه فلجأ إلى الراء وأسقطها من كلامه، حتى استقام لفظه وصار من أوائل الخطباء.

وهكذا نجد أن الخطابة تكتسب بالتعليم والدراسة والممارسة، فمثلاً يمكن لأولى الأمر أن يتـولوا أمر من يريدونهم خطباء من طفـولتهم، ويربوهم على الثـقـة بالنفس، وحب الجـمـاعـة وتشابه الأعـمـال للأقـوال، ويمدوهم بالعلوم والفنون، وأن ينفـقـوا عليهم الأمـوال، ويوجهوهم إلي الجماهير ليتعودوا على الالتقاء بهم.

إن منهجـاً يحقق هذا سهل التنفـيذ ومؤكـد النتيجـة، لو وجد له العاملون المخلصون.

كما يجب مراعاة ما يلى :

١ ـ البدء برغـبة قـوية ونهم شديد، لأن الرغـبة الهزيـلة لا تحقق النجاح أبداً، والواجب عـليه أن يتفـهم دراسته المتـخصصـة، ويقتنع بمنفعتها، ويفكر فيما تعنيه بالنسبة له.

٢ ـ الممارسـة والارتياض، فعلى من يريد الخـطابة ألا يخجل من

نفسه، لأن الحـديث لا يقويه إلا حديث يشبهـه، والخطبة لا تجود إلا بتكرارها، وهناك أمر مسلم به هو أن من يريد أن يتعـلم السباحة عليه أن يلقى بنفسـه فى الماء، فلمـاذا لا يلـجأ إلى الخـطابة من يريد أن يتعلمـها ويتقـنها، ورياضة النفس علي الخطـابة تكون بأمور كثـيرة، بعـضها يـتعلق بالإلقـاء، وبعضـها يتـعلق بالأسلوب والفكرة، لأن الخطابة فكرة وأسلوب وإلقاء محكم. .

ومن الرياضـة التى تتعلق بـالفكرة أن يعود نفـسه ضـبط أفكاره، ووزن آرائه، وعقد صلة بينها وبين ما يجـرى فى شئون الناس، وعامة أمورهم، ومنهـا أن يكون كثيـر التأمل فى شئـون الحياة، وأن يتـعود الاتصال بالناس، ومن الرياضـة المتعلقة بالأسلوب أن يتحـدث بجيد الكلام ويكتبه كثيراً، ويحاكى البلغاء فى مرانه الخطابى.

ومن الرياضة المتعلـقة بالإلقاء أن يعود نفسـه إخراج الحروف من مخارجها، وأن يقرأ كل ما يستـحسنه بصوت مرتفع، مصوراً بصوته معانى ما يقرأ، وذلك بتغيـير النبرات ورفع الصوت وخفضه وهكذا، ويحسن كثيراً أن يستحضر المبتدئ في الخطابة موضوعه قبل إلقائه بمدة كافية، فـلا يؤجل إلى ظهر يوم الخميس ما سيلقيـه يوم الجمعة، بل عليه أن يستحضر خطبة الجمعة من أول الأسبوع، لأنه كلما عاش مع خطبته وقـتاً أطول ازداد إلفه بها وكثـرت أفكارها ونضجت، وعندما يكون الذهن مشـغولاً بموضوع، التقط عـديداً من المعانى والأفكار، واخترع غـيرها، وياحبذا لو سجلت سـائر الأفكار كلما وردت علي الذهن.

٣ ـ حب الخطابة والعمل في مـجالها، لأنه دلت النتائج العـلمية علي أن الإنسـان فى الحـقيـقـة يبـدأ من داخله، وكل أمـر لا يرتبط

بالاقـتناع، فمـآله إلى الضـياع، ومـن هنا وجب علي كل من وضع نفســه، أو وضعته الأقـدار ليكون خطيباً أن يعـشق عمله ويخلص له ليتمكن من النجاح فيه.

لابد من وجود الحافـز النفسي علي النجاح، وبخاصـة في مجال الخطابة الذي يحـتاج إلى القـراءة ودوام التـفكير، وقـوة الملاحظة، ومواجهة الجماهير بين الحين والحين.

إن الخطيب الكاره لعمله لا يستعد له، وإذا ما واجه الناس خارت قواه لعدم ثقته في دوره الذى يقوم به.

لابد من حب الخطابة وعـشقـهـا، والإخلاص لهـا، وتلك أهم الـوصـايـا التـي يـجـب الاهتـمام بـهـا ليـنجح الخطبـاء فى أدائهم لدورهم [١].

(١) راجع بتوسع : أصول الخطابة لأبي زهرة، والبيان والتـبيين للجاحظ، وقواعد الخطابة للدكتور / غلوش.

ثانيا : اعداد الخطيب

تحتاج عملية الخطابة إلى الفطرة والاكتساب كما ذكرت، ولابد من تخير الفطرة عند اعطاء الخبرة والممارسة، ويقع المشتغلون في إعداد الخطباء في خطأ، وهو قبول كل من يتقدم لهم مهما كانت فطرته، ومهما كان استعداده.

ونظراً لتعدد نشاط الخطباء نرى ضرورة إعدادهم علي النمط التالي :

١ - الاختيار المبكر :

وذلك عن طريق معرفة ميول كل طالب ورغباته، ومستوى ذكائه وقدرته على التحصيل الدراسي، ومدى استجابته لتوجيه أساتذته أمراً ونهياً، ومدى تأثره بأقرانه وتأثيره فيهم، لأن هذه المعلومات تعتبر مؤشراً على شخصية الطالب واتجاهاته فيما بعد.

ومن الممكن اختيار بعض الطلاب لدراسة علوم الدعوة علي أساس استعداداتهم وميولهم، وتلك ملاحظة هامة لأن وضع الإنسان فى موضع يتفق مع ميوله واستعداداته أول شروط النجاح. ولنقتد في ذلك برسول الله ﷺ، فهو الذي اختار «أبا بكر وعمر» رضي الله عنهما - للشورى، واختار «أبا عبيدة وخالداً وأسامة» للحرب والقتال، واختار «علياً ومعاذاً» للحكم والقضاء، وهكذا سائر الصحابة الذين وكل إليهم الرسول ﷺ بأعمال متعددة. وما تم ذلك إلا وفق استعداد كل منهم ليقوم بما يعهد إليه من مهام.

ومن الممكن أيضاً عقد لقاءات شخصية للطلاب لاختبار قدراتهم واستعدادهم لهذا النوع من الدراسة، لأن الاستعداد الشخصى أساس للتفوق العملى.

ولقد كان السلف رضوان الله عليهم يختبرون من يعلمون حتى لا يضعوا البذرة فى أرض سبخة، من ذلك ما حدث من «الخليل بن أحمد» عالم العربية حينما أتاه «النظام» بولده «إبراهيم» وقال له: علم لى ولدى هذا، فإنه اختبره أولاً، وقال له: صف هذا الكأس، وأشار إلى كأس في يده، فقال الغلام: بمدح أم بذم ؟ قال : بمدح، فقال الغلام : تريك القذى، ولا تقبل الأذى، ولا تستر ما وراء، قال : فذُمها : فقال الغلام : يسرع إليها الكسر، ولا تقبل الجبر.

إن مثل هذا الاختيار يتم اليوم في عدد من الدراسات المتخصصة التي تبدأ من وقت مبكر كدور المعلمين والمعلمات، ومعاهد الخدمة الاجتماعية، والمدارس العسكرية المتنوعة، وذلك كله لينجح الطالب بعد تخرجه فيما يوكل إليه من أعمال.

وقد أدرك قدر هذا الاختيار المبكر مع الاختيار الناجح، أصحاب المذاهب الوضعية، ورجال الأديان الأخري، فعملوا به وأخذوا يعدون لباطلهم دعاة فيهم الذكاء والنشاط والإخلاص وغير ذلك من الصفات التى تنتشر بها الأفكار والعقائد.

وإعداد الدعاة إلى الإسلام يجب أن يندرج في هذا الخط الطبيعي، وحيث يختارون في سن مبكرة، وتختبر مستوياتهم الذهنية، وقدراتهم الشخصية، ليسهل إعدادهم، ويكونوا بعد تخرجهم على مستوى أهمية الدعوة وأهمية العمل لها.

٢ ـ معاهد الدعاة :

بعد انتهاء المرحلة الأولى يلتحق الطلاب بالمرحلة المتوسطة، واقترح هنا انشاء معاهد متوسطة وثانوية للدعوة بجانب الكليات الجامعية، يتلقى بها الطلاب الذين وقع عليهم الاختيار ـ كدعاة ـ

دراساتهم المتوسطة والثانوية، وينبغى أن يقوم نظام هذه المعاهد علي أساس الرعاية الكاملة طول اليوم بحيث يعيش الدارسون بين أساتذتهم وقت الدراسة ويقضون أوقات راحتهم وتريضهم مع الموجهين والمشرفين، وبذلك يعيش الطلبة بين الأستاذ والموجه مما يجعلهم يسيرون تلقائيا نحو التربية المقصودة والهدف المنشود.

إن التفرغ الكامل للدارسين يسهل أمام المسئولين تكوين الدعاة بالصورة المرجوة فى الدين والعلم والخلق، وليس التفرغ للدراسة بالأمر الصعب علي من يختار للدراسة، لأن نوعيات عديدة من المدارس والمعاهد في جميع أنحاء العالم أخذت بنظام التفرغ خلال الدراسة في مقابل تحقيق بعض المزايا المادية والمعنوية للدارسين، وكان الإقبال عليها شديداً، ودلت نتائجها علي تحقيقها لأغلب الأهداف التي وضعت البرامج من أجل الوصول إليها.

ويجب أن تشتمل مدارس ومعاهد الدعاة على مزايا عديدة، يجدها الدارسون خلال الدراسة وبعدها، وذلك لاختيار أفضل العناصر للقيام بالدعوة، وإعدادهم الإعداد المطلوب، ومن المعلوم أن صناعة الدعوة تعنى صناعة الأمة، فإذا ما أحسن المسلمون إعدادهم وتربيتهم فقد أدوا بعض ما وجب عليهم، ونفعوا فى نفس الوقت أنفسهم وأمتهم بنشر العدل وتحقيق الأمن، ومحاربة البغى والفساد بواسطة من أعدوا من الدعاة.

إن مناهج ومقررات مدارس ومعاهد الدعاة يجب أن تتجه جميعاً إلي بناء شخصية الدعاة بصورة متكاملة، وقد ضرب رسول الله ﷺ من نفسه نموذجاً لهذه الشخصية لتكون ماثلة أمام المسلمين في مختلف العصور، ينشئون أجيالهم على نمطها، ويتخذونها المثال

لحيـاتهم ومعـاشهم، ولا غـرو في ذلك، فرسـول الله ﷺ بعث ليتمم مكارم الأخـلاق بالهدى ودين الحق، وليوجه الإنسـانية إلى ما يصلح شأنها ويعلى قدرها.

إن الدعـوة إلى الإسـلام تحـتـاج في كل وقت إلـى التكامل فى شخـصية الدعـاة، ومن هنا ندرك حرص الرسـول ﷺ على تربية الشخـصية والاعتداد بـالنفس عند أصحابه رضوان الله عليـهم وحتى أصبح كل منهم أمة فى نفسه، لا يعرف غير الحق، ولا يخش فى الله لومة لائم، ولذلك انتصر الإسلام بهم، وانتشر بسببهم.

وتكامل شخصـية الداعية يتم بتمكنه من الصفـات الواجبة له من إيمان عميق، وعلم دقيق، وحـسن الرفيق، وارتباط بالدين وثيق، مع الخلق القويم، والأفق الواسع العميم، ومراعاة التحقيق مع التطبيق، ويجب أن تقدم مدارس الدعـوة لطلبتها الدراسـات التي تساعد علي هذا التكامل وفق خطة مقررة يضعهـا الاشراف المتخصص علي إعداد الدعاة.

٣ ـ كليات الدعوة :

تعـتبـر الدراسة في كليـات الدعـوة امتـداداً للدراسة في المعـاهد المتوسطة الثانوية من حيث الهدف والغاية مع تميزها بالعمق والتحليل والمقارنة واجراء البحوث الميدانية والعلمية.

وعلي المسـئولين المـشرفين أن يحـددوا المقـررات والمناهج المطلوبة لمعـاهد وكليـات الدعوة، من أجل تحـقـيق التكامل بين الدراسـات المقررة، وفي نفس الـوقت على المشرفين ملاحظة أن المرحـلة الثانوية تكون نهـاية الدراسـة لعـدد من الطلاب مما يحـتم اعتـبـار الدارس المتخرج من هذه المرحلة مـعداً على مستوى معين، ويمكن الاسـتعانة

بهؤلاء كدعاة فى القرى الصغيرة والمجتمعات البسيطة، كما يمكن جعلهم مساعدين للدعاة في المجتمعات الواسعة.

٤ - دراسة اللغات الأجنبية :

تعتبر دراسة اللغات الأجنبية من أهم الدراسات اللازمة للدعاة فى العصر الحديث لأن أغلب من توجه إليهم الدعوة من غير العرب، كما أن العديد من المؤلفات التي تتعلق بالإسلام إيجاباً أو سلباً كتبت بغير اللغة العربية، وحتي يمكن قراءة كل ما يقال عن الإسلام، ومن أجل تبليغ الإسلام لجميع الناس يجب احاطة الدعاة بصورة تامة بلغات من سيدعونهم، وهذا واجب بدهى، لأن مصادر الإسلام نزلت بلغة عربية، وحفظه الله للناس كما أنزلها على رسوله محمد ﷺ، وألزم المؤمنين تبليغ الإسلام علي وجه بين واضح ولا يتم ذلك إلا باتحاد اللغة بين الداعية والمدعوين، أيا كانت هذه اللغة، ولهذا المعني أرسل الله رسله السابقين إلي أقوامهم بلسانهم، حيث يقول تعالى : ﴿ **وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم** ﴾ [(١)] وبسبب كون القرآن نزل في العرب أولاً كان بلغتهم، لأنه لو كان بغير لغة العرب لما فهموه ولطلبوا نزوله بلسانهم ليفقهوه، لكن الله تعالى بحكمه أنزله عربياً، وقال : ﴿ **ولو جعلناه قرآنا أعجمياً لقالوا لولا فصلت آياته، ءأعجمى وعربى** ﴾ [(٢)] ولعل في قوله تعالى : ﴿ **ءأعجمى وعربى** ﴾ إنكاراً للاختلاف اللغوى بين الداعية والمدعوين، إذ لا يصح أن يكون الكلام أعجمياً والمخاطب به عربياً، لأن ذلك لو حدث لاحتاج المخاطبون إلى التفصيل والبيان.

---

(١) سورة إبراهيم من آية (٤).

(٢) سورة فصلت من آية (٤٤).

وتحقيقاً لعالمية الإسلام مكن الله العرب من اتقان لغات العالم كله، ويجب على الدعاة أن يتمكنوا من ذلك دائماً، وقد وجه رسول الله ﷺ المسلمين والدعاة إلى هذا الواجب بما فعله مع الصحابى «زيد بن ثابت» رضي الله عنه، حيث قال له : «يا زيد : أتحسن السريانية؟ إنها تأتينى كتب بها، قال زيد، قلت: لا، فقال: تعلمها، فتعلمتها في سبعة عشر يوماً» [١].

وهكذا وضح الرسول ﷺ للمسلمين طريق مخاطبة الناس وتوجههم إلي الله تعالى. ونظراً لكثرة اللغات العالمية، فإنه يمكن تقسيم الطلاب إلى مجموعات تختص كل مجموعة بدراسة لغة أو لغتين، وبذلك يمكن تخصيص كل مجموعة لدعوة إقليم من أقاليم العالم. وينبغي تعريف كل جماعة بالإقليم الذي ينطق لغة دراستهم من ناحية عاداته وتقاليده، والأديان والمذاهب المنتشرة فيه ليكون الدعاة على بينة تامة ممن سيدعونهم [٢].

---

(١) رواه البخارى.

(٢) انظر : قواعد الخطابة ص ١٥٨ ـ ١٦٤.

ثالثا: الصفات العقلية للخطيب

الخطيب يعرض عقله علي الناس كلمـا التقي بهم، لأنه يخاطبهم بما وصل إليه من كافة الأدلة والعناصر المرتبطة بالموضوع.

وقديماً قيل لعبد الملك بن مروان: عجل عليك الشيب يا أمير المؤمنين، قال: وكيف لا يعجل عليَّ، وأنا أعرض عقلي علي الناس في كل جمعة مرة أو مرتين.

ومن هنا وجب على الخطيب أن يتمتع ببعض الخصائص العقلية الآتية :

١ ـ سعة المعارف :

لا يستغنى الخطيب عن الاطلاع الدائم فى كافة العلوم، وسائر أنواع المعارف حتى يمكنه أن يتعادل مع دوره الهام، حيث له الصدارة، ومنه الفتوى والمناصحة والتوجيه.

إن الخطيب لا يمكنه القيام بدوره هذا إلا بعد جهد طويل، وبذل متواصل في التحليل العلمي، والبحث الموضوعى، واعلم أن العلم فى حد ذاته ضرورى، كما أنه لذيذ فى نفسه، فيكون مطلوباً لذاته، ووسيلة إلى دار الآخرة وسعادتها، وذريعة إلي القرب من الله تعالي، ولا يتوصل إليه إلا به.

كما أن تعلم العلم خشية، وطلبه عبادة، ومذاكرته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه صدقة، وبذله لأهله قربة، لأنه معالم الحلال والحرام، ومنار سبل أهل الجنة، وهو الأنيس في الوحشة، والصاحب فى الغربة، والمحدث في الخلوة، والدليل على السراء والضراء، والسلاح علي الأعداء، والزين عند الأخلاء، يرفع الله به

أقـواماً فـيجـعلهم في الخيـر قـادة وأئمة، تقـتص آثارهم، ويقتـدى بأفعالهم، وينتهى إلى رأيهم.

وعلى المربين أن يوجهـوا طلبتهم إلى التزود العلمـي، ولا يصغوا سمعهم لبعض المعوقين الذين يركون إلى الدعة والكسل.

ومن أهم المعارف التي يجب أن يهتم الخطيب المسلم بها ما يلي :

(أ) القرآن الكريم :

الخطيب الإسـلامي الناجح هو الذي يهـتم بالقرآن الكريم حـفظاً وفـهـمـا، ويقتـبس مـنه فى خطبـه وكلمـاته، ويورده مـؤثراً به في المستمعين.

ويعتبر القرآن الكريم مقيـاس الإجادة عند الخطيب، فيجب مراعاة الحفظ الدقـيق للآيات التى يوردها الخطيب في خطبـته ليكون حـجة موثوقاً به عند المستمعين، فليـس من العيب أن يبذل كثيراً من الوقت فى الحـفـظ، لكن العـيب كـله أن يخطئ فى الآيات حين يـقـرؤها للجمهـور؛ لأن هذا الخطأ يدفع الجمهور إلى اللامـبالاة، ويجعلهم يشـعرون بالملل والـضيق والنقـد والتـعليق، وعلى هذا النمط فـعلى الخطباء جميعاً أن يهتموا بالمصادر المقدسة، وياحبذا لو أحاط الواعظ المسلم بسائر الكتب ليفهم ما عند الناس، ويخدم دينه بهذا الفهم.

(ب) السنة النبوية :

وهى كل ما أثر عن النبي ﷺ من قـول أو فعل أو تقرير، وهي تتضمن عـديداً من أنواع البيان حيث أتت موافـقة لنص الكتاب، أو موضحة لمشكل النص، أو مفصلة لما أجمل، أو أتت بزيادة عليه، أو نسخـته، وهي بذلك تؤكـد ضرورتهـا وأنه لا يمكن الاستغنـاء عنها

لخطيب يعمل في خدمة الدعوة، لأن القرآن يحتاج لبيانها أكثر من احتياجها هى للقرآن الكريم.

وعلي الخطيب أن يستفيد من السنة النبوية، بما فيها من اهتمام بالموضوعات الواقعية التى تلامس حياة الناس، وبما تشتمل عليه من أساليب الترغيب والترهيب الذي هو فن عظيم النتائج، قوى الأثر بين الناس، وعلى الخطيب أن يكون حصيفاً، يهتم بالسنة، ويدرك اهتمام الأوائل بها، ودفاعهم عنها، وأن يفرق بين صحيحها وضعيفها، وغثها وسمينها، فلا يقول : قال رسول الله ﷺ، إلا وقد علم - يقيناً - أنه قد قال.

(جـ) الملل والنحل :

فمعرفة الملل والنحل هام للخطيب حتى يتمكن من المقارنة في موضوعه ليثبت الحق فيه، ويدفع الشبه التي تثار ضده.

ومع اشتمال القرآن والسنة على كثير من الملل والنحل بشكل مجمل أو مفصل، إلا أننا نري وجوب متابعة الخطيب للأبحاث الكثيرة التي تصدر تِبَاعاً في هذا الموضوع.

إن كثيراً من العادات تتأصل في الناس بسبب بُعْد الزمن، وتتحول إلي نحلة يعتنقها أصحابها علي أنها مذهبهم ودينهم.

(د) علوم اللغة :

وهذه العلوم كثيرة وعديدة، بعضها يتعلق بالتراكيب اللفظية وطرق تحسينها، والتعبير عنها بصور مختلفة وبعضها يتعلق بالأسلوب، وطرق البيان، وأساليب الفصاحة والبلاغة، وبعضها يتعلق بالمعني وفقه اللغة ونحو ذلك.

إن مداومة الاطلاع فى علوم اللغة يعطى للخطيب طاقة لفظية لا حدود لها، وتمكنه من تشكيل معانيها في صورة بهية جميلة.

ويجب أن يكون واضحاً أن الاهتمام بهـذه العلوم يفيد الخطبة من حيث سهولة اللفظ ويسر المعنى، والقرب النفسى من المستمع.

(هـ) العلوم الإنسانية :

نقصـد بالعلوم الإنسـانية كافـة العلوم التي تدور حـول الإنسان، تحليلاً ونقداً، ومنها: علم التـاريخ، وعلم الاجتماع، وعلم النفس، وعلم المنطق، وأخذ الحسن من هذه العلوم ضروري للخطيب.

إن الخطيب المسلـم بصفـة خـاصـة صـاحب رسـالة تحـتـاج منه الإخلاص الدقيق، والاصرار الواعي على النجاح، والشمول الواسع للمعارف والفنون [١].

إننا في عـالم لا مكان فيـه لغيـر العلم، وعلى الخطيب أن يلحظ ذلك، ويعمل له لينجح في دعوته، ويربطها ـ كحقيقتها ـ بالحياة.

---

(١) دراسات في الدعوة الإسـلامية / د. أحمـد غلوش ص ١٣٦، ١٣٧ بتصرف، ودراسات فى علم الخطابة د/ عبد الغفار بالاشتراك ص ١٨٢ ـ ١٨٤ .

٢ ـ قوة الذاكرة :

يحتاج الخطيب إلى حسن الذاكرة، ليتمكن من أداء رسالته، ذلك أن الذاكرة الضعيفة تنسى كثيراً من المعارف، وتضر كثيراً من العبقريات، لأن المرء قد يكون مثقفاً، غزير المادة، واسع الاطلاع ومع ذلك إذا صادفه موقف حساس ارتج عقله، وخانته ذاكرته، وقديماً قالوا : «إن المرء بأصغريه، قلبه ولسانه».

ذهب غلام مع وفد لتهنئة «عمر بن عبد العزيز» ولما وقفوا بين يدي الخليفة، اشرأب الغلام للكلام، فقال عمر: يا غلام، ليتكلم من هو أسن منك، فقال الغلام: يا أمير المؤمنين، إنما المرء بأصغريه، قلبه ولسانه، فإذا منح الله عبده لساناً لافظاً، وقلباً حافظاً، فقد أجاد له الاختيار، ولو أن الأمور بالسن لكان ههنا من هو أحق بمجلسك منك. فقال عمر : صدقت.

والقلب الحافظ لا يكون إلا من ذاكرة حسنة، وبديهة حاضرة.

هذا ومما يعين علي تحسين الذاكرة، وقوة الحفظ، واستيعاب العلم، تقوى الله عز وجل، كما قال تعالى : ﴿ **واتقوا الله ويعلمكم الله** ﴾ [(١)].

ويقول الإمام الشافعي :

شكوت إلي وكيع سوءَ حفظى	**فأرشدنى إلى ترك المعاصى**
وأخبرنى بأن العلم نور	**ونور الله لا يهدى لعاصى**

(١) سورة البقرة ٢٨٢.

ومع أن الأمر هبة إلهية، فإننا نطالب بالأخذ بالأسباب.

هذا وقد درس العلماء طرق تحسين الذاكرة، وحصروها في ثلاثة هي:

الطريقة الأولي: «التركيز» يجب علي من يريد تحسين ذاكرته أن يركز علي المطلوب عند قراءته حتي لا يتفلت منه ويضيع، ويكون التركيز باستحضار المعنى عند قراءة كلماته، وترتيب الأفكار حسب ورودها في الألفاظ، ويا حبذاً لو ارتبطت هذه الأفكار بصورة حية فى النفس.

ويكون التركيز أيضاً بالقراءة بصوت مرتفع حيث تشترك حاستان فى التقاط المعنى، إن اللسان والأذن فى هذه الحالة يمدان العقل بالمعاني، وهذا يؤدى إلى تحسين الذاكرة.

ويأتي التركيز كذلك بتسجيل ما يقرأ كتابة، إن العقول تعتمد على رؤية المكتوب أكبر من المسموع خمساً وعشرين مرة، إن من الامكان أن ننسى اسم الشخص في وقت تحافظ فيه على تذكر صورته.

ويأتى التركيز أيضاً بإبعاد كافة المعوقات الحسية وقت القراءة، لأنها تصرف بعض الفكر إليها، ولذلك نجد البعض لا يفهم جيداً إلا فى مكان بعيد عن الناس والضوضاء والتكلف.

ولسنا نقصد من هذه الصور الكثيرة سوى تنويعها أمام الأشخاص، لأن من الناس من يركز بصورة أو بأخرى أو بغير ذلك كله.

الطريقة الثانية: «التكرار» هذا هو القانون الطبيعي لقوة الذاكرة، وهو قانون مضمون النتيجة، لأنه الذي يمكن الكثيرين من حفظ

النصوص الطويلة، والمسلمون لا يحفظون القرآن إلا بالتكرار.

ويجب ألا يكون التكرار آليا، بل يجب أن يكون ذاكياً، بمعنى أن يستمر التكرار مدة طويلة على فترات متقطعة لأن العقل الباطن يكون مشغولاً بين فترتي التكرار بتكوين ترابطات أكثر ضماناً ولأن العقل حينما يقوم بعمله على فترات لا يرهقه التعب المتواصل.

الطريقة الثالثة : «**الترابط**» يستطيع الخطيب أن يتذكر نقاط موضوعه، ويربطها بشيء موجود في العقل أو يربط بعضها ببعض حتى يسهل ايرادها وقت الإلقاء.

وهكذا يجب علي الخطيب أن يحسن ذاكرته، ليتمكن من النجاح في مهمته [1] والله أعلم.

---

(١) انظر بتوسع : قواعد الخطابة د. غلوش ص ١٦٥ - ١٧٣، ودراسات في الدعوة الإسلامية ص ١٣٦ - ١٤٠ وأيضاً، دراسات في فن الخطابة د/ السعودي عبد المقصود ص ٧٩ - ٨٦، ص ١٣١ - ١٥٤.

رابعا: الصفات الأخلاقية للخطيب

يحتـاج الخطيب إلي مجـموعة من الصـفات الأخلاقـية من أجل القدرة علي النجاح، لأن هذه الصفات تعطيـه الثقة في نفسه، وتجعل المستـمعين يقبلون على كل ما يقـوله بنفس متفـتحة، ورغبـة أكيدة، ومحبة تتعلق بالقول والقائل.

وبالبحث فى أهم الصفات الواجبة نرى أنها تنحصر فيما يأتى:

١ - **الثقة بالنفس**: وذلك عن طريق حب عمله، والاعداد الجيد لخطبه، حتى يكون واثقـا من نفسه، مهتماً بالأمـر الذي يقوله، كأنه يهمه شخـصياً، وحينئذ يسمع له جمـهوره، والكلمة إذا خرجت من القلب وقعت في القلب.

٢ - **المشاركة الوجدانية**: وذلك بأن يعيش حيـاة الناس ليشعر بشعورهم، وينفعل مع آرائهم وحياتهم، ويتداخل في تقاليدهم وكافة شئونهـم، بصدق وفهم، وتحليل، ويجب أن تأخذ هذه الصـفة عنده شكلاً عاماً مع الجميع.

٣ - **الطبيعة العملية**: يجب علي الخطيب أن يتمـسك بالتطبيق العملى لكل ما يقال حتى يستجيب المستمعون لتوجيهاته وأوامره، لأن من المعلوم أن الأشخاص أكثر إلفاً وطاعة للأعمال من الأقوال.

٤ - **عدم التردد أمام الناس**: فإن جدية الداعية فيما يدعو إليه، وإيمانه بالفكرة التي يدعو إليها يجعله يجد من حوله أنصاراً عديدين، وليكن له فى رسول الله ﷺ القدوة والأسوة، إذ قام يدعو إلى الله وحده، لا يثنيه شيء عن دعوته.

٥ - **مراعاة المستمع في الخطبة**: بحيث يراعي الخطيب أحوال

الناس وأعمالهم، ومتاعبهم، ويضع حلولاً لمشاكلهم، واهتماماتهم، ويجيب على أسئلتهم، ويصف الدواء لأمراضهم، وهكذا كان رسول الله ﷺ.

٦ - ملاحظة الروح الجماعية في المستمعين: فأهم ما تتميز به الجماعة أنها لا تسير دائماً تبعاً لعقل الفرد، وإنما يتحكم فيها اتجاه عام يعرف بالعقل الجمعى، وهو يحول الفرد الضعيف إلى قوى قوية مع الجماعة، فعلى الخطيب ملاحظة ذلك.

٧ - عدم مصادمة الغرائز: إذ الغرائز فطرية وحتمية، ولا أمل في ازالتها بالكلية، فيجب ترويضها وعلاجها بالاستعلاء، أو بالابدال، أو بالتقليل، كما يلاحظ غرائز مستمعيه فلا يقع فى تناقض لا أمل فى الخلاص منه.

«وهكذا يجب علي الخطيب أن يهتم بالمستمعين، فهم موضوع خطبته، وفيهم يتحقق مراده، ورسالته ينشرها من أجلهم» [1].

* * *

(١) قواعد الخطابة ص ١٧٥ - ١٧٩ بتصرف، ودراسات في الدعوة الإسلامية ص ١٥٧ - ١٦٠ بتصرف، ودراسات في الخطابة ص ٩٧ - ٩٩ بتصرف.

خامسا: الصفات البيانية للخطيب

أهمية البيان للخطيب :

الداعية الخطيب يحرص أن تكون دعـوته بينة واضحة، لأنها تقف أمام العـقل وتناقشه وتشـتبك مع الفهم لتـأسره وتستـميله بصدقـها وأصالتها.

والدعوة الإسلاميـة ما كانت - ولن تكون - بغير البـيان، إذ البيان أحد لوازمها، والصدق فيـه يضمن لها الخلود والعمق، ولذا كان من الأوصاف القرآنية لابلاغها «المبين» وكـثيراً ما يذكر القرآن أن المرسلين جاءوا بالبينات، ويقصد بها دعواتهم.

وتحقيقاً للبيان أرسل الله رسله بلغـة الأقوام الذين بعثوا فيهم حتى لا يكون لهم حجة تجعلهم يقـولون : لم نفهم ما خوطبنا به، فكيف نسأل عنه ؟

ولما كان النبـي ﷺ مبعـوثاً إلى كل الأمم ولكل لغاتهم، فـقد اختار الله أمة تملك العناصر التي تمكنهـا من نشر ما تعتقد، وتؤثر به فاختار الأمة العربية، أمة النبي ﷺ، وجـاء القرآن بلغتها، وحملته هى بدورها إلى كل مكان محفوظاً مفسراً، ومترجماً.

وقد استطاعت ذلك لفهـمها طبيعة الأمم واختلاطهـا بها، ومعرفة لغـاتهم، وتوسطها جـغرافـياً بين الجـميع، وبرغم ذلك فـقد عـمد المسلمون من غير العرب إلى تعلم اللغة العربية، لغة القرآن.

فالبيان في غـاية الأهمية، كما أشرنا، ومما يظهر البـيان ويجليه ما يلي :

أولاً : النطق الحسن :

فهـو الدعامة للإلقـاء الجيد، وإذا اعتـرى النطق ما يفسـده أضاع الإلقاء، وإذا ضاع الإلقاء ضاعت الخطبـة، وفقدان الخطيب ما يسمو إليه من وراء البيان.

وإن النطق الجيد يحتاج إلي العناصر التالية:

١ ـ **علي الخطيب أن يجـود لفظه:** بأن يخـرج الحروف من مخارجها الصحيحة، فلا ينطق بالثاء سينا، وبالزال زايا، وهكذا كل مـخارج الحـروف، فـيجب أن يعنى الخطـيب بإخراج الحـروف من مخارجها، مع عدم التشدق أو التنطع في هذا.

٢ ـ **مجانبة اللحن:** يجب أن يهتم الخطيب بتـصحيح الكلام الذي ينطق به، ويلاحظه في مـفـرداته وعبـاراته، وذلك يتأتى بعـد دراسة علوم اللغة والبـلاغة، فإن الحركة الواحـدة تغير اللفظ وتنقله من معنى إلى معنى آخر.

٣ ـ **تصوير المعاني:** على الخطيب أن يتقن القـاء ألفاظه بشكل يجعل المعـانى مصورة مـن خلال الألفاظ، وبذلك يبـرز الاستفـهام بطريقته، والتقرير يجسمه، والسرور يبرزه، والحزن يخفيه، وهكذا.

٤ ـ **التمهل:** يحتاج الخطيب إلي التمـهل في القاء خطبته؛ لأن النطق السريع المتعجل يشوه اللفـظ، ويضيع المعنى، ويجعل المستمع لا يستطيع متابعة سرعة الخطيب.

٥ ـ **إبراز الكلمات الهـامة:** ومعنى هذا أن يضـغط الخطيب علي بعض المـقـاطع دون بعض، بشـرط أن لا يكـون هذا الضـغط عشوائياً، ولكن يجب اختيار الكلمات الهامة الدالة على الموضوع أو المؤيدة للعناصر، أو الموجزة للخطبة كلها.

٦ ـ تغييـر ارتفاع الصوت: إذ الصوت لـه أثر كبيـر في وقع الكلام على المسـتمع حسـناً أو قبحـاً، لذلك على الخطيب أن يغـير صوته بين الارتفـاع والانخفاض ليؤثر بـالصوت وبالمعنى معاً، كـما يناسب ذلك المكان سعة وضيقاً.

٧ ـ تغيير سرعة الصوت: إن تغيير سرعة الصوت من الأمور المهمـة التى تمكن الخطيب من الوصول إلى هدفه بحـيث يؤكد على الكلام المهم، ويجذب أنظار المستمعين إليه عن طريق نبرات صوته.

٨ ـ التوقف قـبل وبعد كل فكرة: يجب علـى الخطيب أن يركز فى تقسيم خطبته، ويوقف المسـتمع معه علي هذا التركيز. وهذا لا يتأتى إلا بمؤثرات صوتيـة فى الالقاء، تأتى عن طريق التوقف عن الالقاء قبل الفكرة وبعدها، ولو للحظات قليلة.

٩ ـ تجنب العيوب الصوتية: فهناك عيـوب تلحق بالصوت، والواجب على الخطيب أن يسـعى للتخلص منها بكـل وسيلة ممكنة، ومن هذه العيوب :

* عدم قـدرة الخطيب على بيان مـوضوعه، واخـتفاء غـرضه من خلال سرعة الصوت لديه، مع مراعـاته لنصائح الالقاء الجيد، وهذا العيب يمكن تلافيه بترك الاهمال، والتزام أصول «علم الخطابة».

* العيـوب الشائعـة فى اللسان، كاللثـغة «ابدال حـرف بآخر فى النطق، كابدال السين ثاء، والراء ياء، وهكذا»

والتمتمـة «التتعتع فى التاء»، والفأفاة «التـتعتع في الفاء»، واللفف «ادخال بعض الكـلام في بعض» وعلاج هذه العيـوب يكون بالطب الجـسمـانى، فـإذا تعـذر علاجـهـا وجب على الخطيب أن يتـجنب الكلمات المعيبة عنده.

* خفـوض الصـوت: وهذا يكون بسـبب ضـعف صـحي فى الخطيب، ويعـالج هذا الـعيـب بالطب البـشـرى والثـقـة بالنفس، وبالشجاعة الأدبية.

ثانياً: المعانى المفيدة:

يأتى المستمع إلى الخطيب ليخـرج فى النهاية بمعنى يبقى فى ذهنه، وكل ما يضـعه علم الخطابة من دراسات يهدف فى النهـاية إلى امداد الجمهور بشىء يؤثر فيه، ويفيـده، ويوضح له منهاجاً صالحاً للقضايا التى تساعده فى حياته.

ولا يكفى فى الخطـبة أن تكـون ذات لفظ جـميـل مع خلوها من المعانى الدقيقة..

وعلي الخطيب أن يلحظ أنه يخاطب عقول المستمعين، وعليه حينئذ أن يجود كلمته، وينظم عناصرها، ويجـعلها في مستوى فهم الناس، مع ضرورة استعمال الصور البيانية المتعددة [1].

*****

(١) قواعد الخطابة ص ١٨٠ - ١٨٥ بتصرف، ودراسات في فن الخطابة ص ١٠٧ - ١١١ بتصرف ودراسات في علم الخطابة ص ١٨٩ - ١٩٢ بتصرف.

سادسا : الصفات الشكلية للخطيب

لابد للخطيب من مراعاة مجموعة من الصفات الشكلية التي تحيط به، والتى توثر كثيراً في انتباه المستمعين، ذلك لأن الأشخاص يستفيدون بكافة حواسهم حيث نجدهم يوجهون آذانهم لصوت الخطيب، وفى نفس الوقت يتابعونه بعيونهم، ومن المعلوم أن تحريك كافة الجوارح مدعاة لليقظة والانتباه.

ولذا وجب على الخطيب أن يهتم بهذه الصفات التى سنوجزها فيما يلى:

١ ـ الوقوف في مواجهة المستمعين: على الخطيب أن يلحظ مكانه بالنسبة للجمهور، فلابد أن يكون أمامهم، ويستحب له أن يكون واقفا، وعلي مكان مرتفع، وأن لا يبدأ خطبته فور وقوفه، بل يتمهل قليلاً حتى يلحظه الجمهور الناظر، ولقد كانت أول خطبة للنبي ﷺ من فوق جبل الصفا، ثم خطب مدة طويلة على جذع نخلة إلى أن انتقل إلى منبر أقامه المسلمون للخطبة خاصة.

وفي العصر الحديث عرف الجميع قيمة هذه الصفة فاهتموا جميعاً بتأسيس مكان خاص للخطيب يتميز بالارتفاع، وبأنه في مواجهة المستمعين، ففى دور العبادة حيث الخطب الوعظية، وفي المؤتمرات والهيئات العالمية، وفى دور القضاء يعتلى الخطباء الأماكن الخاصة بهم ليلقوا خطبهم منها.

إن المستمع تؤثر فيه رؤية الخطيب، كما يؤثر فيه كلامه، وبالجملة، فإن مكان الخطيب يجب أن يكون محل عناية واهتمام.

٢ ـ قبول صورة الخطيب: بحيث لا تكون صورته منفرة، لأن الناس ـ منذ كانوا ـ مولعون بالقوة والسلامة، والاستواء في الخلقة، والحسن في الصورة، حتى قالوا: لأن تسمع بالمعيدى خير

من أن تراه، ومن الناس لـولا قبـح صـورته - لكان أخطب العـرب قاطبة، مثل «زيـد بن جندب»، وفي ذات الوقت، هناك خطباء برعوا فى فنهم مع قبح صورتهم، من أمثال «الأحنف بن قيس».

٣ - حسن الهندام: أرسل عالم نـفسانى إلى مـجمـوعة من الخطباء، وسـألهم عن تأثير الملابس فـيهم، فـشهد جـميـعهم دون استثناء، بأنهم حـين يـكونون فى أبهي زينـة، وأجمل ملبس - يعرفون - ذلك ويحسونه - فـإنهم يملكون زمام أنفسهم ولا يخـطئون، ومعني هذا أن حسن الهندام أحد أسباب الثقة بالنفس، وهذا يجعل الخطيب يجود قـوله ويحسن خطبته وبالتـالي يكون محل تقدير مـستمعـيه بما يقدم لهم من كلام حسن، ومؤثر، ومفيد[١].

٤ - أمور جانـبية: هناك أمـور جانبـيـة يجب علي الخطيب أن يلاحظها، وعليـه أن ينظمها، لتكـون مساعدة له فى خطـبته، فمـثلاً علي الخطيب أن يعد المكان، أو يـأمر بذلك، لأن المكان لو لم يكن متـسعاً للـناس، أو كان سئ التهـوية، أو نحو هذا، فـإنه يدعو إلى ضجـر المستمع من هذه الأمور الجـانبية، وانصـرافه عن الخطيب إلي شئ بعيد عن الـهدف الذي جاء من أجله، ومثلاً يحـتاج المكان إلى اضاءة كافية تساعد على الرؤية، ولابد من ملاحظة ذلك.

ومن الأمور الهامة احضار مكبر للصـوت إذا كان المستمعون عدداً كـبيـراً، وكان المكان واسـعاً، لأن هذا يسـاعد علي راحـة الخطيب واستفادة المستمعين، وحفظ النظام.

وهذه أمور نسـوقها على سبـيل المثال، ويجب مراعـاة كل ما هو على نمطها[٢].

---

(١) قواعد الخطابة ص ١٨٦ - ١٨٩ بتـصرف، ودراسات في الدعوة الإسـلامية ص ١١٥ - ١١٩ بتصرف، ودراسات في الخطابة ص ١٩٢ - ١٩٤ بتصرف.

(٢) قواعد الخطابة ص ١٨٦ - ١٨٩ بتـصرف، ودراسات في الدعوة الإسـلامية ص ١١٥ - ١١٦ بتصرف، ودراسات في الخطابة ص ١٩٢، ١٩٤ بتصرف.

الفصل الثالث

المستمعون:

المستمع هو الهدف الرئيسى من كل ما يقدمه علم الخطابة من ارشاد وتوجيه، ولذلك وجب على القائمين بالخطابة أن يلحظوا مستمعيهم ويتجاوبوا معهم وبخاصة فى النواحي التالية :

١ ـ نوعية المستمعين:

للإنسان طاقة عقلية معينة يمكنه بها أن يفهم كل حديث يتناسب معها، وعلى الموجهين ملاحظة طاقة المستمعين، ولذلك كان النبي ﷺ يقول لأصحابه: «خاطبوا الناس على قدر عقولهم، أتحبون أن يكذب الله ورسوله؟» (١).

لأن الإنسان إذا لم يخاطب على قدر مستواه العقلى فإنه لا يعقل شيئاً وينفر مما يسمعه. وذلك أمر مسلم لأن تقديم اللحم كطعام للطفل يضر ولا يفيد.

والناس أصناف متعددة، ولايمكن أن يكونوا فى المخاطبة سواء، بل لكل صنف منهم أسلوب يتفق معه، ويتناسب مع فهمه، وعلى قدر استيعابه، فليس العالم كالعامي، وليس العامي كالمجادل، ولذلك رأينا القرآن الكريم يأمرنا بتنويع الدعوة، في قوله تعالى: ﴿**ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن**﴾ (٢).

ويمكن أن نذكر أصنافاً من الناس تبعاً لتقسيم القرآن لهم، ومنهم:

١ ـ طائفة العلماء: هم رؤوس الناس ووجهاؤهم، وأساس

---

(١) رواه البخارى.

(٢) سورة النحل ١٢٥.

الصلاح أو الفساد في المجتمع، والعـامة فى حاجة دائمة إليهم، وهم جمـاعة تميـزت بالفطنة، واشـتغلت بالمعـارف، وعلت بالعلوم التي حصلوها، وثقتهم فـيما جمعوا من علم أرقى من ثقتـهم بما جمعوا من مال.

ولذلك وجب حين دعـوتهم وتوجيـهـهم أن يقدم لهم الحـديث اللائق، بلا تكرار ولا اطناب، ولابد من بث الثـقة فـيهم، والرضى عنهم ولو فى جانب ما.

إن الإنسان عموماً لا يحب من يصـدم مشاعره، وواجب ملاحظة ذلك، بخاصة مع العلماء الذين هم قادة الفكر فى الناس، ويستحسن في خطابهم أن يـقوم عـلى الحـوار، والقـصص، والمثل التـمـثيلى ليستنتجوا من الخطيب ما يريد، ومن الضرورى استثارة روح المسئولية عند العلماء حين التوجه إليهم بالخطاب.

٢ - المطيعون لله: وهم أهل الورع والتقوي، وهم صفوة خلق الله وأحباؤه وأولياؤه، وهؤلاء تكفيـهم الاشارة والرمز، لأنهم علموا والتزموا، وعـرفوا وذاقوا، واتباعهم للخـير جبلة فيهم لا يحـتاجون لعناء، إنما يكفيهم التذكر ﴿**وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين**﴾ [١].

٣ - الأمـراء والولاة: وهم أولو الحكم والسيـادة إن قـامـوا بواجبـهم وفق أمر الله وعـدلوا نُصِروا، وإن ضيـعوا واجبـهم هلكوا وأهلكوا، وهذا الصنف له هيبته وقيـادته، ودعوتهم تحتاج إلي حكمة ودراية، إذ لابد من اعطائهم مـا يليق بهم من تقـدير وعدم التـصادم المباشر معهم، وفي نـفس الوقت لابد من نصحهم ووعظهم بالمسائل التي تنفعهم وتنفع رعاياهم باللين والحسنى، وليس بمستحسن أن يتجه الخطيب لهؤلاء بما ينفرهم منه ويجعلهم في عداء معه.

---

(١) سورة الذاريات، آية ٥٥.

٤ - أصحاب الحرف والمهن: وهؤلاء طوائف من الناس تقضى وقتها كله فى العمل والسعى والكدح وفيهم الحرص على الكسب والمال، وقد يفئ الله عليهم فيملكون مالاً كثيراً وهم لم يتعلموا، وواجب على من يخطب فى هؤلاء أن يعيش مع نفسياتهم، ويستدل لهم من حياتهم، ويعلمهم بأسلوب سهل ويتخولهم بالموعظة، ويحاول أن يعالج الأمراض النفسية والاجتماعية التى تنتشر بينهم.

إن أصحاب الحرف يلزمهم معرفة حكم الشرع في عملهم، كل فى اتجاهه، وهذا واجب الخطيب، ومن هنا كانت ضرورة ملاحظة نوعية المستمع لتكون الخطبة ملائمة له ومناسبة لمصلحته.

٥ - أهل الفقر والمسكنة: ويراد بهم من يعيش فى بلاء ما، كمرض أو فقر أو سجن أو ظلم، وهؤلاء يعيشون بنفسية معينة، وعقلهم وفكرهم دائماً يعيش فى مشكلاتهم، ويحاول أن يقارن بينهم وبين غيرهم من الناس، وخطيب هؤلاء يجب أن يلحظ وضعهم، فليس الحديث للمسجونين والمرضى كالحديث للأحرار والأصحاء، ولن يكون الكلام للغنى هو نفسه للفقراء.

٦ - أهل الضعف كالنساء، والأطفال: وهؤلاء يجب أن يعرفوا واجبهم، وحقهم أن يخاطبوا على قدر مستواهم الذهنى والعقلى.

٧ - غير المسلمين من الناس: وهؤلاء قد يكونون أصحاب دين أو مذهب أو لا دين لهم، ويسلكون مسلكاً فوضوياً فى مجال السياسة أو فى مجال الاقتصاد.

وحيث إن الإسلام دين يجب تبليغه للناس جميعاً، كان على الخطيب الذي يوجه حديثه إلى غير المسلمين أن يتعب نفسه ويعرف

اتجاه مخاطبيه، ولا يتصادم مع عواطفهم وتقاليدهم ولا ينفرهم منه، وليكن حديثه من باب **﴿تعالوا إلى كلمة سواء﴾** [١] و**﴿هاتوا برهانكم﴾** [٢] وكذلك **﴿إنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين﴾** [٣].

وهؤلاء لا يفيدهم الاستدلال بالنص لأنهم لم يؤمنوا، وإنما لابد من الاستدلال لهم بآيات الله في النفس والكون والحياة، ويجب أن يعلم الخطيب أن الناس منذ خلقهم الله جبلوا على احترام الذكاء النافع، أو الإخلاص الهادئ، وحب الخير والسلام، وجبلوا كذلك على أن يقبلوا على من يقبل عليهم.

إن الاحتيال على حل مشكلة ما، يجعل أصحابها يشاركون في الحل والاقبال.

٢ - ملاحظة الاتجاهات السائدة:

في كل جماعة من الناس ينتشر اتجاه أو اتجاهات معينة تبعاً لظروف بيئية أو اجتماعية، ومن أمثال ذلك انتشار اتجاه صوفي في جماعة ما، أو تعيش الجماعة في حى يتحتم علي ساكنيه أن يكونوا تجاراً، أو يوجد في وسط الناس مصلح مخلص يورث فيهم حب العلم، وتقدير أهله.

وعلماء التربية يوجهون المشتغلين بالتعليم لملاحظة الاتجاهات التي تسود بالضرورة بين مجتمع الشباب، أو مجتمع المرأة، أو مجتمع العمال، أو مجتمع الجنود، والعلماء المفكرين. وهكذا. لأنها

---

(١) سورة آل عمران ٦٢.
(٢) سورة البقرة ١١١.
(٣) سورة سبأ ٢٤.

اتجاهات متغايرة أو فى نفس الوقت متحكمة فى نشاط الجماعة. والمربى الموفق هو الذي ينطلق من هذه الاتجاهات ينميها أو يعدلها على وفق ما يرى.

إن ملاحظة الاتجاهات السائدة في المستمعين قضية علمية لابد منها لكل من يتصدي لعملية التوجيه والتربية، وذلك لتحليل هذه الاتجاهات، وبناء عملية اصلاحية علي أساس فني لا يتصادم معها، ولايبدأ بالهجوم عليها، وبخاصة إن تأصلت هذه الاتجاهات في النفوس.

٣ ـ مراعاة المناسبات عند المستمعين:

هناك مناسبات متعددة ينفعل بها الناس يعايشونها بعواطفهم وعقولهم، ولذلك نجدهم يسمعون الحديث عنها، ويتابعون التعليق المتصل بها، وتتأهب نفوسهم لفهم كل ما يدور حولها.

وأهم المناسبات ذات التأثير في النفس هي المناسبات الدينية كيوم العيد، وموسم الحج، وأيام الصيام، وتلك كلها مناسبات دينية تشير إلى انفعال الناس بها وعلى نمطها سائر المناسبات الأخرى، وعلى الخطيب مراعاة هذه المناسبات.

إن مراعاة المناسبة يعني الاهتمام بالمستمع، ويشير إلى النجاح في عملية التأثير والافادة الذي هو أمل كل خطيب يعرف ما يناط به من مسئولية وواجب.

ومن روعة الإسلام أنه يحتوى على كل ما يناسب الإنسان فى جميع ظروفه.

ولا يعنى الاهتمام بالمناسبات المجاملة ومجاراة الواقع مهما كان

سيئاً وإنما المقصود هو الاجادة والحسن في أداء الرسالة عن طريق مشاركة المستمع والتفاعل معه في القضايا التي تشغل فكره وعواطفه.

كم من خطيب يقصده الناس لأنه يحدثهم عن أنفسهم، ويوجد الحلول عن مشاكلهم، ويظهر الحلول الإسلامية لما يثار أمامهم.

وكم من خطيب ينصرف الناس عنه، ويتمنون أن يسكت حين يبدأ في الحديث!!

إن المشتغلين بالتربية والتوجيه والارشاد يهتمون بموضوع الساعة، لأنه المناسبة الحية المتحركة عند الناس، ولذا نراهم يتناولون هذا الموضوع بالدراسة والتحليل، والتعليق، والشرح، وبيان كل ما يتعلق به من أحكام دينية وفوائد علمية.. وهكذا.

وما ذلك إلا نوع من الاهتمام بالمناسبة الذى ننادى به ليضعه الخطيب في مخططه.

والمناسبات عديدة، بعضها دورى ثابت، وبعضها طارئ مؤقت، وكلاهما يجب الاهتمام به رعاية لافادة المستمعين [1].

---

(١) قواعد الخطابة ص ١٩٠ ـ ١٩٦ بتصرف، دراسات في فن الخطابة ص ١٨١، ١٨٢ بتصرف.

الفصل الرابع
نماذج من الخطب

النموذج الأول:

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، إنه من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

اللهم صل على محمد النبى وأزواجه أمهات المؤمنين، وذريته وآل بيته كما صليت ربنا على آل إبراهيم إنك حميد مجيد.

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾ ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساءا واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا﴾ ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا. يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما﴾.

أما بعد، فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى نبينا محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، فكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة فى النار.

إخوة الإسلام، حديثنا اليوم عن **«مهمة الرجل المسلم»**.

ما هي مهمة الرجل المسلم؟

تتلخص مهمة الرجل المسلم فى قوله تعالى:

﴿والعصر * إن الإنسان لفي خسر * إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق، وتواصوا بالصبر﴾ (١).

إن المسلم من أجل أن يفلح فى دنياه، وينجو فى آخرته من الخسران، لابد وأن يعرف مهتمه ، ويفهم دوره، ويحدد مسئوليته، وهى كما بينتها سورة العصر، تتخلص فى «صلاح نفسه، ودعوة غيره» فصلاح نفسه، كما أشارت إليه السورة الكريمة **﴿الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾** ودعوة غيره، أشارت إليه الآية الكريمة **﴿وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر﴾**.

فالمسلم يجب أن يتأسى بسيد الخلق، وحبيب الحق، سيدنا محمد ﷺ كما قال تعالى: **﴿لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر﴾** (٢) وهذا هو رسول الله ﷺ أمره ربه باصلاح نفسه، مع بداية بعثته ﷺ فقال الله تعالى له: **﴿يا أيها المزمل * قم الليل إلا قليلا * نصفه أو انقص منه قليلا * أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا * إنا سنلقى عليك قولا ثقيلا * إن ناشئة الليل هي أشد وطئا وأقوم قيلا * إن لك فى النهار سبحا طويلا * واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلا * رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلا * واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا ...﴾** (٣).

فكانت هذه التعليمات العظيمة، والتوجيهات الكريمة فيها دعوة لصلاح نفسه، وتزكيتها، وتهذيبها، صلوات ربى وسلامه عليه، ثم توالت التوجيهات.

---

(١) سورة العصر بكاملها.
(٢) سورة الأحزاب، الآية (٢١).
(٣) سورة المزمل، الآيات (١ ـ ١٠).

ثم جاء دور دعوة الغير - بعد صلاح النفس - فأمره الله عز وجل بقوله : **﴿يا أيها المدثر * قم فأنذر * وربك فكبر * وثيابك فطهر * والرجز فاهجر * ولا تمنن تستكثر * ولربك فاصبر﴾**[١] .

فإذا سأل النبى ﷺ من أنذر، ومن أدعو؟

فإذا بالقرآن الكريم يجيب على ذلك، بوضع منهاج لدعوته ﷺ ، قال تعالى : **﴿وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها﴾**[٢] .

وأيضا: **﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾**[٣] .

وكذلك: **﴿لتنذر أم القرى ومن حولها ...﴾**[٤] .

ثم يتسع نطاق الدعوة كما أراد الله تعالي: **﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾**[٥] .

وبمثل هذا المنهاج الذى رسمه الله تعالى لنبيه - صلوات ربى وسلامه عليه - يجب أن يسير المرء المسلم، فأول ما يجب عليه «صلاح نفسه».

وإذا نظرنا فى القرآن الكريم، محاولين تلخيص عناصر الصلاح، وجدناها فى بضع آيات من القرآن العظيم، ومثاله، قوله تعالى: **﴿ليس البر أن تولوا وجوهكم قِبَلَ المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام**

---

(١) سورة المدثر، الآيات (١ - ٧).
(٢) سورة طه، الآية (١٣٢).
(٣) سورة النمل، الآية (٢١٤).
(٤) سورة الشورى، الآية (٧).
(٥) سورة الأنبياء، الآية (١٠٧).

الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون﴾ [١].

فهذه الآية الكريمة من الآيات الجامعة، ولذا كانت تعرف بآية (البر الجامعة)، بالنظر إليها تجد أنها قد اشتملت على سبل الصلاح مجملة فهى تحدثت عن حقيقة الإيمان، التى تلخصت فى:

(أ) عقيدة خالصة: اشتملت على ركائز الإيمان، والالتزام بمعنى «لا إله إلا الله» أى «لا معبود بحق إلا الله» فهو يعتقد بوجود الله عز وجل، وتوحيده، وكماله، ولا يصرف العبادة لغيره، لا لملك مقرب، أو لنبى مرسل، أو لولى صالح، إذ هى حق خالص لله تعالى، بمعناها الشمولى الذى شمل كل شىء فى حياة المسلم، كما قال تعالى: **﴿قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين * لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين﴾** [٢] فالعبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال، الظاهرة والباطنة، أو القلبية والبدنية. مع الولاء لله تعالى ورسوله، والمؤمنين، برفع راية الإسلام، والتخلى عن رايات أهل الأرض، وشعارات أصحاب الدنيا.

وقد أخلص نفسه كله، متجرداً من أغراض النفوس، وأمراض القلوب، والتى شتت شمل المسلمين، وفرقت جمع المؤمنين.

(ب) عبادة صحيحة: فيها إخلاص النية لله تعالى، مع صورة العمل المشروعة وفق ما جاء عن النبى محمد ﷺ، مصحوبة

---

(١) سورة البقرة، الآية (١٧٧).

(٢) سورة الأنعام، الآية (١٦٢، ١٦٣).

بكمال الحب، مع تمام الذل لله رب العـالمين، مقدما رؤوس الـعبادة على غيرها باقـام الصلاة، وإيتاء الزكاة، غير مكتف بالفـريضة منها، بل هو يتصدق وينفق طيب ماله مع حبه وشدة الحاجة إليه لمن يستحق من الفقراء والمساكين واليتامى وابن الـسبيل والسائلين، ويعتق الرقاب، ويفرج كرب الأقارب والأصحاب.

(جـ) معـاملة حسنة: لأنهـا جزء لا يتـجزء من دين الله عـز وجل، فـالإسـلام لا يعرف رجـالا فى عـبـادتهم كـالملائكة، وفى معاملاتهم كالشياطين، بل المعاملة الحـسنة، ثمرة العبادة الصحيحة، وعلامـة قبولـها، وقد رمـزت الآية إلى ذلك بالوفاء بالعـهد، الذى طالما أصابنا شر كثير بتركـه، وعدم الوفاء به، وكم ضيعت مصالح، ونفقت أمـوال، وضاعت أوقات، ونزغ الشيطان بين الإخـوان بسبب خلف الوعد، ونقض العهود، وسوء المعاملة بين المسلمين.

(د) أخـلاق طيـبـة: أشـارت الآية الـكريمة بقـوله تـعـالى: **﴿والصابرين في البـأساء والضراء وحين البأس أولئك الذيـن صدقوا وأولئك هم المتـقون﴾** وتلك هى ثمـرة الدين، وخلاصـة الإسلام، وحقـيقـة الإيمان، فما أعظـم المرء المسلم إذا تمثل تلك الآية الكريمة، وامتثل لما فيها من توجيهات، والتزم بما ورد فيها من تعليمات.

وأنعم وأكرم إذا أضاف إلى ذلك، ما جاء فى قول الله تعالى :

﴿إن الله اشـتـرى من المؤمنين أنفـسـهم وأمـوالهم بأن لـهم الجنة يقاتلون فى سـبيل الله فيَـقتُلون ويُقتَلون وعـدا عليه حقـا في التوراة والإنجيل والقرآن، ومن أوفي بعهده من الله، فاسـتبشروا ببيعكم الذى بايعـتم به وذلك هـو الفـوز الـعظيم * التائبـون العابدون الحـامدون

السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين﴾ [(١)].

فقد اشتملت هاتان الآيتان الكريمتان على عشرة خصال لصلاح النفس، أشارت الآية الأولى منهما إلى «الجهاد»، والآية الثانية إلى سرد بقية الخصال: «التوبة، والعبادة، والشكر لله، والهجرة فى سبيل الله، والركوع له، والسجود لله - وهما أهم ما فى الصلاة - ثم الأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر، والحفظ لحدود الله تعالى، فإذا فعل المرء المسلم ذلك فله البشرى فى الدنيا والآخرة.

ويستعرض القرآن الكريم ألوانا من إصلاح النفوس، اشتملت عليها تلك الآيات الكريمات، والتى اتخذها سيد الكائنات - عليه أفضل الصلوات، وأزكى التسليمات، منهاجا له فى الحياة، وبين أن من أقامها وعمل بما فيها فله أفضل الدرجات، وأعلى الجنات، بدخوله الفردوس الأعلى، بفضل الله خالق الأرض والسموات، كما قال تعالى: **﴿قد أفلح المؤمنون * الذين هم فى صلاتهم خاشعون * والذين هم عن اللغو معرضون * والذين هم للزكاة فاعلون * والذين هم لفروجهم حافظون * إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين * فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون * والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون * والذين هم على صلواتهم يحافظون * أولئك هم الوارثون * الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون﴾** [(٢)].

فهذه الآيات الكريمة قد اشتملت على ست صفات، فيها صلاح النفس والحفاظ عليها، كما فيها صيانة المجتمع من كل مكروه وسوء، وهذه الصفات هى :

---

(١) سورة التوبة، الآية (١١، ١٢).

(٢) سورة المؤمنون، الآيات (١ - ١١).

«الخشوع فى الصلاة، والاعراض عن اللغو، وإيتاء الزكاة، وحفظ الفروج إلا على الزوجة وملك اليمين التى أحلها الله تعالى، وأداء الأمانات وحفظ العهود، والمحافظة على الصلوات».

ومع يسر المهمة، فما أعظم الجزاء، إنها الجنة، وليست بجنة واحدة، ولكنها جنات، وقد أصاب أصحاب هذه الصفات، الفردوس الأعلى من الجنات. رضى الله عن عمر بن الخطاب، قال: «كان إذا نزل على رسول الله ﷺ الوحى، يسمع عند وجهه كدوى النحل، فلبثنا ساعة، ثم استقبل القبلة ورفع يديه وقال: «اللهم زدنا ولا تنقصنا، وأكرمنا ولا تهنا، وأعطنا ولا تحرمنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وارضنا وارض عنا»، ثم قال: إنه قد أنزل عليَّ عشر آيات من أقامهن دخل الجنة، ثم قرأ الآيات حتى تمم العشر»[(١)] .

ورضى الله عن «عائشة» سئلت عن خلق النبى ﷺ، فقالت: «كان خلقه القرآن»، ثم قرأت: **﴿قد أفلح المؤمنون﴾** إلى أن بلغت **﴿والذين هم على صلواتهم يحافظون﴾** قالت: «هكذا كان خلق النبى ﷺ»[(٢)] .

فما أجملها من أخلاق، أثنى عليها الخلاق، فقال: **﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾**[(٣)] وقد أمرنا بالتأسى بأخلاقه ﷺ، والتحلى بصفاته، صلوات ربى وسلامه عليه.

هذا وما أجمل بالمرء المسلم أن يتجمل بصفات عباد الرحمن، التى

---

(١) رواه الإمام أحمد والترمذي والنسائى.

(٢) رواه الإمام النسائى.

(٣) سورة القلم، آية (٤).

جاءت فى سورة الفرقان، فقال ربنا الرحمن: ﴿وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً * والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراما إنها ساءت مستقراً ومقاماً * والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً * والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق آثاماً * يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيها مهاناً * إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيما * ومن تاب وعمل صالحا فإنه يتوب إلي الله متاباً * والذين لا يشهدون الزور وإذا مروا باللغو مروا كراماً * والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صماً وعمياناً * والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماماً * أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاما * خالدين فيها حسن مستقرا ومقاما﴾ (١).

فاللهم اجعلنا من عباد الرحمن، كما وصفهم الفرقان، وجلاهم النبى العدنان، عليه الصلاة والسلام.

هذا وبعد صلاح نفسه، يأتى الواجب الثانى عليه وهو «دعوة غيره» ذلك أن المسلم ليس مسئولا عن نفسه فقط، بل وعمن يعول، «فكلكم راع، وكلكم مسئول عن رعيته» (٢) وقاعدة «الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر» قاعدة أصيلة فى الإسلام، وجزء لا يتجزأ منه،

---

(١) سورة الفرقان، الآيات (٦٣ - ٧٦).

(٢) جزء من حديث صحيح فى البخارى ومسلم.

انبنت عليها خيرية الأمة، كما قال تعالى : **﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله...﴾** [(١)] .

ويأتى هذا الواجب على درجات، ما بين فرض العين، وفرض الكفاية، ويبدأ فرض العين منه، بمسئولية كل مسلم فى أسرته، ومهتمه فى حدود ولايته، وذلك كما قال تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون﴾** [(٢)] .

ولذلك فعلى المسلم أن يبدأ فى دعوته، بإصلاح أسرته، والأسرة فى أضيق نطاق «الزوج والزوجة»،

فعلى الزوج أن يدعو زوجته إلى الالتزام بأحكام الإسلام، مثل الحجاب، والصلاة والزكاة، والصيام، وطاعة الله عز وجل، ورسوله ﷺ .

فى مثل الآية الكريمة: **﴿وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها﴾** [(٣)] .

وأيضا: **﴿وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولي وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله...﴾** [(٤)].

وبمثل قول النبى ﷺ : «إذا صلت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وحفظت نفسها، وأطاعت زوجها، قيل لها يوم القيامة: ادخلى من أى أبواب الجنة الثمانية شئت» [(٥)] . فإذا اتسع نطاق الأسرة

---

(١) سورة آل عمران، الآية (١١٠).
(٢) سورة التحريم، الآية (٦).
(٣) سورة طه، الآية (١٣١).
(٤) سورة الأحزاب، الآية (٣٣).
(٥) راجع بتوسع: مهمة المرأة في الإسلام، د/ عمر بن عبد العزيز قريشى.

بأن صـار الزوج أباً له أبناء، فـإن المسـئولية تعظم، بعـد أن دعى زوجته، عليه أن يربى أولاده، بأن يحفظ أبناءه القرآن، منذ الصغر، قبل أن يشتغل ذهن الأولاد بمشاغل المدارس، ومشاكل الحياة، ولأن الولد الذى لا يحفظ القرآن، يحفظ الغناء، ومـا لم يشغل وقته بحفظ القرآن، شغل بالجلوس أمام «التليفزيون» الذى له دور كبير فى افساد النشء، والحياة.

وعلى الأب أن يعلم أولاده الصلاة منذ نعومة أظفارهم، كما قال ﷺ: «علموا أولادكم الصلاة لسبع سنين، واضربوهم عليها لعشر، وفرقوا بينهم فى المضاجع»[1].

كما عليه أن يعود بناته على الحجاب منذ الصغر، فإن من شب على شيء شاب عليه. وعلى الوالد أن يتعهد أولاده بالتربية الصحيحة منذ نعومة أظفارهم، سواء كانت تربية إيمانية، تبدأ بالبشارة بالمولود، والعق عنهم، وحسن تسميته، وتحنيكه، وحلق رأسه، وختانه، والتسوية بين البنين والبنات مع محبتهن وعدم كراهيتهن، وتلقين الأولاد العقيدة منذ الصغر، والتعريف بأحكام الحلال والحرام، والتأديب على حب الرسول ﷺ مع تعليمه السيرة النبوية الشريفة، وتعلمه الغزوات العظيمة، وغرس روح الرقابة لله عز وجل.

وكذلك بالتربية الأخلاقية بتجنب الأولاد الظواهر المتفشية فى المجتمع كظاهرة الكذب، والسرقة، والسباب والشتائم، والميوعة والانحلال. والمحافظة على الأولاد من التقليد الأعمى، والاستغراق فى التنعم، والبعد عن الموسيقى والغناء الخليع، والنهى عن التخنث والتشبه بالنساء بالنسبة للذكور، والنهى عن السفور والاختلاط بالنسبة

(١) رواه أبو داود والحاكم.

للاناث. مع إبعاد الأولاد عن كل وسيلة تؤدى إلى الانحراف والجريمة، والبعد عن ذلك خير وسيلة، فالوقاية خير من العلاج.

وعلى المربى - أيضا - أن يربى أبناءه تربية صحيحة سليمة، بوجوب الانفاق عليهم، واتباع القواعد الصحيحة، والتحذير من الأمراض السارية والمعدية، ومعالجة المرض بالتداوى، وتطبيق مبدأ «لا ضرر ولا ضرار»، وتعويد الولد على الرياضة والفروسية، والرجولة، ومعالجة ظاهرة «التدخين، والعادة السرية، وظاهرة المسكرات والمخدرات، وظاهرة الزنى واللواط».

ثم التربية العقلية بالالتزام بالواجب التعليمى، واعتناء الرجل بتعليم أولاده - ذكورا وإناثا - ما ينفعهم فى أمور دينهم ودنياهم، ومسئولية التوعية الفكرية بالتلقين الواعى، والقدوة الواعية والمطالعة الواعية والرفقة الواعية، مع مراعاة الصحة العقلية كذلك.

ثم واجب التربية النفسية بمعالجة ظاهرة الخجل عند الأولاد، وكذلك ظاهرة الخوف أو الشعور بالنقص، أو ظاهرة الحسد أو الغضب.

ثم التربية الاجتماعية، بغرس الأصول النفسية الإسلامية كالتقوى والأخوة، والرحمة، والإيثار، والعفو، والجرأة، وبمراعاة حقوق الآخرين، كحقوق الأبوين، والأرحام، والجار، والمعلم، والصديق، والكبير، والالتزام بالآداب الاجتماعية العامة كأدب الطعام والشراب، والسلام، والاستئذان، والمجالس، والحديث، والمزاح، والتهنئة والتعزية، والزيارة والعيادة، وأدب العطاس والتثاؤب.

مع مراعاة المراقبة والنقد الاجتماعى الصحيح بالأمر بالمعروف

والنهى عن المنكر، والتذكير بمواقف السلف، وتعلم شمولية الإسلام»[١].

ثم بعد ذلك يتسع نطاق دعوته، على قدر استطاعته، وشعاره قائلاً :

﴿إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب﴾.

أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم.

(١) راجع بتوسع كتاب «تربية الأولاد فى الإسلام» للشيخ عبد الله ناصح علوان».

النموذج الثانى :

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعـمالنا، إنه من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هـادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحـده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

اللهم صل علي محمد النبى وأزواجـه أمهات المؤمنين، وذريته وآل بيته كما صليت ربنا على آل إبراهيم إنك حميد مجيد.

﴿يا أيهـا الذين آمـنوا اتقـوا الله حق تقـاته ولا تموتـن إلا وأنتم مسلمون﴾ ﴿يا أيهـا الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة، وخلق منها زوجـها وبث منهـما رجالا كـثيرا ونسـاء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحـام إن الله كان عليكم رقيبـا﴾ ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا. يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما﴾.

أما بعـد، فإن أصدق الحديث كـتاب الله وخير الهـدى هدى نبينا محـمد ﷺ، وشر الأمـور محدثاتهـا، فكل محـدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة فى النار.

إخوة الإسلام، حديثنا اليوم عن **«مهمة المرأة المسلمة»**.

ما هي مهمة المرأة فى الإسلام؟

إن الإسلام العظيم أولى المرأة اهتماما معينا، لما لها من دور عظيم فى المجمتع، وجعلها شريكة الرجل فى العمل والتكاليف، ومماثلة له فى الأجر والثواب، كمـا قال تعالى: **﴿فاستـجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض﴾**.

وإذا تفوق الرجل فى بعض الميادين كالجهاد مثلا، فللمرأة ميدان يضاهى ذلك، وها هى «أسماء بنت يزيد» رضي الله عنها، وقد جاءت إلى النبى ﷺ، وقالت: «يا رسول الله، أنا وافدة النساء إليك، هؤلاء الرجال كتب عليهم الجهاد فى سبيل الله، فإن أصيبوا أثيبوا، وإن قتلوا فهم أحياء عند ربهم يرزقون، فمالنا نحن معشر النساء؟ فقال النبى ﷺ: اعلمى وأعلمى من وراءك من النساء أن حسن تبعل المرأة منكن لزوجها يعدل ذلك، وقليل منكن من تفعله»[١].

هذا، والإسلام حدد مهمة المرأة المسلمة فى عناصر واضحة، إن نفذتها المرأة المسلمة نالت سعادة الدنيا، ونعيم الآخرة، وذلك فى مثل قوله تعالى: **﴿يا نساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى في قلبه مرض وقلن قولا معروفا. وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولي وأقمن الصلاة وأتين الزكاة وأطعن الله ورسوله﴾**[٢] وفى مثل قول النبى ﷺ: «إذا صلت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وحفظت نفسها، وأطاعت زوجها، دخلت جنة ربها»[٣].

هكذا أمور واضحة وميسورة، مع الجزاء من رب الأرض والسماء، فإذا عدنا إلى الآية الكريمة وجدناها بدأت بنداء يشعر بخصوصيتها **﴿يا نساء النبى﴾** فهل هى خاصة بهن فحسب؟ والإجابة: بالطبع. .لا، لأن العبرة بعموم اللفظ، لا بخصوص السبب، ولأنه لا يعقل أن تكون هذه الأحكام خاصة بنساء النبي

---

(١) رواه الطبراني والبزار، وفي سنده رشد بن كريب، وله شاهد من حديث أسماء في البيهقي.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٣٢، ٣٣.

(٣) أخرجه أحمد والطبراني في الأوسط وابن حبان بسند صحيح.

ﷺ، وليست لبقية المؤمنات فهل تكون الصلاة والزكاة خاصة بهن مثلا، دون بقية المؤمنات، ومع ذلك وجدنا من يقول بالخصوصية، ولا يقول بهذا من عنده مسحة من عقل، وإن كان من خصوصية فهو في قوله تعالى: **﴿لستن كأحد من النساء﴾** أى فى الفضائل والمكانة، والجزاء، كما سبقتها الآية **﴿يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيرا. ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها أجرها مرتين وأعتدنا لها رزقا كريما﴾** (١).

وبعد هذا النداء الخاص بنساء النبى ﷺ لأنهن القدوة والأسوة لبقية النساء، يقول تعالى: **﴿إن اتقيتن﴾** أى أردتن تقوى الله عز وجل، وأن تقين أنفسكن عذاب النار، وغضب الجبار، والوصول إلى تلك المنزلة السامية من الدين، فعليكن بالآتى.

﴿فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض، وقلن قولا معروفا﴾ وهذه الجزئية تحدد طريقة كلام المرأة، وتبين أدب حديثها، وتحوطها بسياج منيع يحول دون الشكوك والشبهات، ومنع التهم والترهات، وتبين متى يكون صوت المرأة عورة ومتى لا يكون؟ إنه يكون عورة - على وجه اليقين - متى كان فيه الخضوع والخنوع، وميوعة القول، ولين الكلام، وترقيق الألفاظ، مما يثير شبهة، أويحرك شهوة، أو يثير كامنا، ويحرك ساكنا، فهذا هو المنهى عنه باتفاق لأنه داع إلى الزنا، ومقدمة له، فيطمع الذى فى قلبه مرض الشهوة، وحب النساء.

وإذا كان هذا فى الكلام العادى فكيف هو فى الغناء، لاسيما من الغانيات، الكاسيات العاريات؟!! وأما إذا كان القول معروفا،

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٠، ٣١.

والكلام مألوفا، لايحرك شهوة، ولا يثير شبهة، فهذا لا غبار عليه، إذا دعت الحاجة إليه، أو حثت الضرورة عليه، فمن يحول دون ذلك؟

كمن ترد على طارق، أو تجيب على سائل، أو تسأل عن حاجة لها، أو حكم فى الدين، ونحو ذلك.

ثم تنتقل بنا الآية الكريمة بعد ذلك إلى بيان الآداب المنوطة بالمرأة، فى بيتها، وعند خروجها، وحكم لباسها، وصور من عبادتها، فتقول **﴿وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله﴾**.

﴿وقرن في بيوتكن﴾ مكان المرأة الأساسى هو البيت، فهو قصرها ومملكتها، وهى فيه الجوهرة المكنونة، واللؤلؤة المصونة، ولا تكون الجوهرة جوهرة إلا إذا كانت مكنونة، فإذا ما تركت فى الطرقات، يعلوها الغبار، ويتراكم عليها الطين، ما تكون جوهرة.!!

وكذلك المرأة تظل محتفظة بكمالها وجمالها، وعفتها وطهارتها ما دامت بعيدة عن الأعين، بعيدة عن التبذل والاختلاط، وعرض نفسها فى الشوارع رخيصة مبتذلة.

وليس معنى هذا أن المرأة تظل حبيسة جدران أربع، أو أنها لا تخرج - كما قيل - إلا من بيت أبيها إلى بيت زوجها، ومن بيت زوجها إلى قبرها، لا . . ، فإن المرأة تخرج فى الإسلام لكل ضرورة من الضرورات، كضرورة البيت، وضرورة التعليم، وضرورة العمل، وضرورة الدين، ولكل ضرورة من هذه الضرورات ضوابطها وشروطها، وتفصيل القول فيها، على ما سنعلمه إن شاء الله تعالى.

أولا: المرأة تخرج لضرورة البيت، كأن تشترى متاعا للبيت، لا يوجد غيرها ممن يشتريه، فإذا خرجت بزيها الإسلامى، محتشمة مختمرة، بعيدة عن التبذل والتبرج، لتقضي حاجتها من أقرب مكان،

وسرعان مـا تعود، وهذا إذا كانت الفتنة مـأمونة، مع أمن الطريق، وكأن تخرج مع زوجها أو أحد محارمها لصلة رحمها، أو ذهابها إلى طبيبتها.

وليس من الضـرورة أن تذهـب إلى الحـلاق «الكوافـيـر» أو إلى الخـيـاط «الـترزى» أو إلـى النزهة البـريـة «النوادى» أو البـحـرية «البلاجات»!!.

ثانياً: الضرورة الدينيـة كأن تخرج المرأة للمسجـد وذلك للحديث القائل: «لا تمنعوا إماء الله مسـاجد الله، وبيوتهن خير لهن»[1] ومع ذلك لا تمنعـها، وخـاصة إذا كـان مع الصلاة طلب علم من خـلال خطبة جمعة، أو سماع درس علم.

وخروج المرأة للحج أو العمرة، ولابد فـيه من محرم، لقول النبى ﷺ: «لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر مسيرة ليلة إلا مع زوج أو ذى محرم»[2].

وذلك مع بقيـة الشروط التى يجب توافـرها عند خروج المرأة من أمر الزى الإسلامي، وأمن الطريق، والبعد عن الفتنة.

ثالثا: ضرورة التـعليم: كما تخـرج الفتاة والمرأة لضـرورة التعليم الذى افترضـه عليها الإسلام كالرجل تمـاما بتمام، سواء فـيما يرتبط بأمر دينها، أو ما يتناسب من أمور دنياها، وسواء كان هذا التعليم فى حلقات العلم فى المساجد، أو كان فى المدارس والمعاهد والجامعات، فإن المرأة المسلمة ضربـت المثل فى حسن التلقى والتـعليم، والرواية والكتابة ونحو هذا، خاصة فى العصور الأولى المشهود لها بالخير.

ولكن إذا خرجت المرأة المسلمة للتعليم، فـيجب أن يكون تعليمها لأمور دينها هو فرض العين المقدم على مـا سواه، ثم هى تنزه نفسها من أن تتعلم ما لا يهمها ولا ينفعها.

---

(١) حديث صحيح.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

وخروج المرأة للتعليم مشروط بشروطه في الإسلام، وذلك كأن تخرج الفتاة أو المرأة من بيتها محجبة بحجاب الإسلام، ولا يجوز خروجها متبرجة بحال، ولكن التعليم عندنا على غير هذا الهدى، فالبنات في المدارس والجامعات خاصة، كأنهن عارضات أزياء، عاريات الأذرع والسيقان والصدور، باديات النهود والأرداف والخصور، صابغات للوجوه، مسترسلات للشعور، فهل هذا تعليم أم جحيم؟!!

كما يشترط للتعليم البعد عن الاختلاط، والتعليم المشترك، إذ لا يجوز للمرأة إذا خرجت للتعليم أن تزاحم الرجال في طرق المواصلات، ولا أن تجالس الشباب في قاعات المحاضرات، أو تداعب الفتيان في أندية الجامعات، مع اقامة المسرحيات والتمثيليات، أهذه جامعات أم دعارات؟!!

كما يشترط أيضا للبنت إذا خرجت للتعليم ألا تسافر مسيرة يوم بليلة إلا مع ذي محرم، فلا يجوز أن تسافر المرأة خارجيا أو داخليا إلا إذا كانت مع زوج أو محرم، وكانت الفتنة مأمونة، أو كانت تسكن في مدينة جامعية برفقة نساء صالحات أمينات.

أما بخلاف هذه الضوابط فإن الأمور تكون هملا وسدى، ويصبح المقصود من التعليم الفساد، لا الإصلاح، والضرر لا النفع، كمن يخرجون المرأة لتتعلم الرقص والتمثيل، أو تتعلم وسائل الصناعات الحديثة، والثقيلة، فما دخل المرأة بهذا الأخير، وما المراد بها في تعليمها الأول، أعني الرقص والتمثيل؟!!.

رابعا: ضرورة العمل: هل يجوز للمرأة الخروج للعمل؟

الأصل في عمل المرأة أن يكون في حدود بيتها، ومع زوجها، أو

أحد محارمها، وهذا فضلا عن المهمة الرئيسية لها لتكون سكنا لزوجها ومودة ورحمة، ولتكون أماً لأولادها تعمل علي تربية أطفالها، وتنشئة الأجيال، وتفريخ الرجال، ولا يقوم علي هذا غيرها.

أما إذا أرادت العمل خارج البيت، فإن هذا مشروط بشرطين:

إما أن تحتاج إلى العمل، وإما أن يحتاج العمل إليها. وإنما تحتاج إلى العمل إذا فقدت العائل، أو وجد العائل لكنه عاجز عن الكسب، وندر ما تفقد المرأة العائل فى ظل الإسلام، لأنها في كفالة أبيها إلى أن تتزوج، وفي كفالة زوجها إلى أن يطلقها أو يموت عنها، ثم هي في كفالة ابنها أو أخيها أو أحد المحارم عليها، وإما أن تقوم الدولة علي شئونها وواجباتها، فإن فقدت هؤلاء أو وجد بعضهم مع العجز وعدم القيام بواجب المرأة فلا بأس أن تخرج المرأة لضرورة العمل، وتلك الضرورة بقدرها، لا تتوسع فيها، وإلى أن يوجد من يقوم عليَ أمرها، كأن تكون بنتا أو أرملة فتتزوج، فإن انتهت الضرورة تركت العمل مع انتهائها.

وذلك كما عرض القرآن الكريم في قصة موسى عليه السلام مع بنتى شعيب، قال تعالى: **﴿ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون. ووجد من دونهم امرأتين تذودان قال ما خطبكما قالتا لا نسقى حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير فسقى لهما ثم تولى إلي الظل فقال رب إني لما أنزلت إليّ من خير فقير..﴾** الآيات [١].

وقد اتضح من خلالها أنهما خرجتا عندما عجز العائل عن القيام بواجبه، ولما كانت هذه ضرورة دعتهما للخروج، جعلاها بقدرها، فلم يختلطا بالرجال، ولم يرتكبا جاهلية، فيدخل ماليس بضرورة

(١) سورة القصص: ٢٣ ـ ٢٨.

كالتبـرج والاختلاط والخلوة، مع ما هو ضرورة كـالعمل. وبيان أنه على المجتـمع المسلم أن يقـوم بدوره مع أمثـال هؤلاء فى الإشـارة القرآنية ﴿**فسقى لهما**﴾ ثم بيان أن المرأة العفيفة ترغب في ان تكنّ في بيتـها، ولذلك لما رأت بنت شعـيب بصيصـا من هذا الأمل سارعت إلى تلك الرغـبـة ﴿**قـالت إحداهمـا يا أبت اسـتـئجـره إن خيـر من استئجرت القوى الأمين**﴾.

وإما أن يحـتاج العمل إليـها، ليحـدث الاكتفـاء بين النساء فيـما يخـتص بهن، كأن تكون طبـيبـة للنسـاء - فلا تذهب المرأة للطبـيب الرجل، فيكشف عورتـها، ويترتب عليه فتن ومخـالفات، أو ممرضة لهن - تقوم على أمرهن وهن مرضى فى المستشفيات ونحوها.

أو أن تكون مدرسة لتعليم البنات، فلا يعلمـهن رجل فيعاكسنه أو يعاكسـهن، أو أن تكون خياطة لتفـصيل ثياب النساء فـلا يفصل لها رجل الفسـتان، ويُفَصِّلهَا مع الـفستان، فـمثل هذه المهام. . طبيـبة - ممرضة - مدرسة - خياطة. . مطلوبة في المجتمع المسلم، وإن لم تحتج المرأة لذلك نظرا لفقرها أو احتياجها للعمل.

والمرأة إذا خرجت لهذا العمل أو ذاك، فـلا بد وأن تكون محجبة بحـجـاب الإسـلام، وأن تكون آمنة في الطـريق، وأن تكون الفـتنة مـأمونة، وأن تبـتـعد عن الاخـتـلاط فى طرق المواصلات وأمـاكن العمل، وألا يخلو بها مدير فتكون «سكرتيرة»، أو تقف فى المحلات لجلب الزبائن، أو نحو هذا مما فيه امتهـان للمرأة، وانتهاك لكرامتها، وضياع لشرفها وعفتها وحيائها!!!.

وبعد أن عرفنا مـعنى قوله تعالى: ﴿**وقرن في بيـوتكن**﴾ وبيان أنه متى تخرج المرأة، ومتى لا تخـرج، أشارت الآية الكريمة إلى أنه متى

خرجت المرأة، فلا يجوز لها أن تتبرج، قال تعالى: **﴿ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى﴾** وما معنى تبرج الجاهلية الأولى؟ يقول ابن عباس ﷺ: كانت المرأة تلبس الطويل من الثياب، وتغطي شعرها، غير أنها كانت تظهر صفحة وقتها، فسماه الله تبرج الجاهلية الأولى.

وقال ابن عطاء: كانت المرأة تخضع في القول، وتتسكع فى المشى. وقال مجاهد: كانت المرأة تشق طريقها وسط الرجال. فهذه مظاهر تبرج الجاهلية الأولى، فياسبحان الله، إن كانت هذه مظاهر تبرج الجاهلية الأولى، فماذا إذن هذا الذي نراه فى جاهلية القرن العشرين؟!!

والنساء قد خرجن عاريات الأذرع والسيقان والصدور، باديات النهود والأرداف والخصور، صابغات الوجوه، مسترسلات للشعور، غطين القليل، وعزين الكثير، أهن متبرجات أيضا، لا وألف لا، بل هذا هو العرى الفاضح، الذى قال عنه ﷺ فى حديثه: «صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات، مائلات مميلات، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة ولا يجدن رائحتها، وإن رائحتها لتشم من مسيرة كذا وكذا»[1] أو قال: من مسيرة خمسمائة عام.

ألا فلتعلم المرأة المتبرجة أن الله غاضب عليها، وأن الرسول برئ منها، وأن الإسلام غريب عنها، وأنها لن تدخل جنة ربها ولن تشم رائحتها إلا أن تتوب إلى الله عز وجل، فتتحجب بحجاب الإسلام، وتلتزم بالحياء والاحتشام، وتعيش على هدى الله الملك العلام: وسنة خير الأنام، عليه الصلاة والسلام، قال تعالى **﴿يا أيها النبى قل**

---

(١) أخرجه مسلم.

لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيما﴾ [(١)].

وعلى المرأة المسلمة أن تعلم أن حجابها الإسلامى له شروط لا يصح إلا بها، كما للصلاة شروط صحة أيضا، فليس كل ثوب، أو كل لون يصلح أن يكون حجابا، أو هذا الحجاب الذي صنعته أيدى الأعداء والعملاء فى بيوت الأزياء المحلية والعالمية، وفيه دعوة للزينة والأناقة، لا يصلح أن يكون حجابا من قريب أو من بعيد، ولذلك فشروط الحجاب على سبيل الاجمال هى :

١ ـ أن يكون طويلا سابغا لجميع الجسد، لا يبدو منه إلا إحدى العينين على رأى ـ أو الوجه والكفان ـ على الرأى الآخر، وهى مسألة الحجاب والنقاب، المختلف عليها، والصواب فيها أن النقاب واجب، وأن اظهار الوجه والكفين، لا يعدو إلا أن يكون من الرخص والاستثناءات، وأن حديث أسماء «يا أسماء إن المرأة إذا بلغت المحيض لم يحل لها أن يظهر منها إلا هذا وهذا، وأشار إلى الوجه والكفين» ضعيف ومرسل، وأن ما نسب لابن عباس لم يصح، عدا عن قوله فى الآية: **﴿ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها﴾** قال: الكحل والخاتم، ولم يصح قوله: الوجه والكفان.

٢ ـ أن يكون واسعا فضفاضا، لا يحدد جسما، ولا يصف عورة، ولا يجسم هيكلا.

٣ ـ أن يكون سميكا ثخينا، بحيث لا يشف عما تحته، ولا يصف ما وراءه، وهو أمر واضح.

٤ ـ أن يكون ذا لون هادئ قاتم، فلا تكون ألوانه زاهية، ملفتة للنظر، ومثيرة للانتباه.

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٥٩.

٥ - ألا يشبه لباس الرجال، للحديث «لعن الله المتشبهات من النساء بالرجال»[1].

٦ - ألا يشبه لباس الكافرات، للحديث: «من تشبه بقوم فهو منهم»[2].

٧ - ألا يكون معطرا، للحديث «أيما امرأة استعطرت فمرت بالمجلس فشم رائحتها فهي بالله كذا وكذا - قال قولا شديدا - يعني هي بالله زانية»[3].

٨ - ألا يكون ثوب شهرة، لقوله ﷺ: «من لبس ثوب شهرة ألبسه الله ثوب الذل يوم القيامة»[4].

* فهذه الشروط يجب توافرها في زي المرأة الإسلامي، حتى تكون محجبة بحق، وحتى تتعبد الله عز وجل بلباسها، كما تتعبد له بصلاتها وزكاتها.

وهذا الحجاب بتلك المواصفات مطلوب أثناء صلاتها، ولو كانت بمفردها أو في قعر دارها، كما أنه مطلوب أمام كل الأجانب من الرجال، ولم يستثن فى خلعه إلا أمام الزوج، أو التخفيف منه - بما تستدعيه الضرورة البيتية - إلا أمام المحارم، الذين ذكرتهم الآية الكريمة ﴿ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن﴾....الآية[5].

فتلك أحكام سريعة عن حجاب المرأة، فى القرآن والسنة، فهل

(١) رواه البخاري. (٢) رواه أحمد وأبو داود بسند صحيح.
(٣) رواه أبو داود والترمذي والنسائي بسند صحيح.
(٤) رواه أبو داود وابن ماجة بسند صحيح.
(٥) سورة النور: ٣١.

يأتى أعـمى أو جاهل ليـقول: لـيس فى كتـاب الله آية واحدة تأمـر بالحجاب، أو كل ما ورد إنما هو خاص بأزواج النبى ﷺ . !!

* وبعد أن بين الله عـز وجل وسائل عـفة المرأة المسلمـة فى عدم خضوعها فى قـولها، وقرنها في بيتها، وعدم تبرجـها تبرج الجاهلية الأولى، أمـرها - بعد أن طهـرها بذلك: بالصـلاة أو الزكاة، أمـرها بالصلاة بعد الحجاب، فأي صلاة لامرأة مبترجة، وهو غاية الفحش، مع **﴿إن الصـلاة تنهى عن الفـحشـاء والمنكر﴾** [1] ؟!! وهو في غـاية الفحش والمنكر، ومن ثم فالحجاب أولا، ثم الصـلاة بعده، كما فى الآية **﴿وأقمن الصلاة﴾** أى أدينَ الصلاة مكتملة تامة، غـير منقوصة، ولا منقـورة، وحتى يقـمن الصـلاة، فلابد مـن امتـثال أمـر الله فى الصـلاة، لأنهـا الفارق بين المسـلم والكافر، والمحـافظة عليـهـا في مواقيتها **﴿إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا﴾** [2] .

ومراعاة الطمأنينة والخشوع فيها **﴿قد أفلح المؤمنون * الذين هم في صلاتهم خاشعون﴾** [3] .

وكذلك يجـب مراعاة شـروط صحة الـصلاة، المتمـثلة في العلم بدخـول الوقت، والطهارة من الحـدث الأصـغر والأكـبر، وطهـارة الثوب والبـدن والمكان الذي تصلى فيـه، وستر العـورة، واستقـبال القبلة، وأيضا أداء الصلاة صحـيحة، وفق ما جاء عن النبى ﷺ، القائل «صلوا كما رأيتمونى أصلى» [4] ﷺ .

* **﴿وآتين الزكاة﴾** أي يفرض على المرأة الزكاة، كـما تفرض على الرجل، ما دام لهـا مال قـد ادخر، ووجبت فـيه الزكـاة، أو كانت تتاجر أو تزرع، أو كانت تمتلك ذهبا أو فـضة، فمتى ملكت ما يجب

---

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٤٥.
(٢) سورة النساء، الآية: ١٠٣.   (٤) سورة المؤمنون: ١، ٢.
(٤) متفق عليه.

فيه الزكاة وجب عليها اخـراج زكاتها، ولا تتوانى فى ذلك، حتى لا تكوى بشيء منها فى نار جهنم، والعياذ بالله تعالى.

* وبعـد أن ذكرت الآية الكريمة، أهم مـا يجب على المرأة ـ على وجه التـفصيـل ذكرت بقيـة الواجبات على سـبيل الإجـمال أى فى الفرائض والسنن، والأوامر والنواهى: فقالت ﴿**وأطعن الله ورسوله**﴾.

أي أطعن الله فى الفـرائض، وفيـما سـجله القرآن، ورسـوله فى السنن وفيما احتوته سنة النـبى العدنان ﷺ فى نحو ما أشارت إليه الآية الكريمة بعد ذلك ﴿**إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقـانتات والصادقين والصادقات والصـابرين والصابرات والخـاشـعين والخاشـعـات والمتـصـدقين والمتصـدقـات والصـائمين والصائـمات والحافظـين فروجهم والحـافظات والذاكـرين الله كثـيرا والذاكرات أعـد الله لهم مغـفرة وأجرا عظيـما * ومـا كـان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قـضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيـرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا**﴾ [(١)]، وكما قالته الآية الكريمة ﴿**التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعـروف والنـاهون عن المنكر والحـافظون لحـدود الـله، وبشـر المؤمنين**﴾[(٢)] أو ما جاء فى سورة «النور»، أو ما ذكرته سورة المؤمنون فى آياتها العشر الأولى، أو ما حكته سـورة الفرقان عن صفات عباد الرحمن، أومـا بينته سـورة الحجرات من آداب وتـوجيهـات، أو ما لخصته سورة العصر من صفات.

فإذا التزمت المرأة المسلمة بهذه الأوامر، وانتهت عن هذه النواهى،

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٥، ٣٦.
(٢) سورة التوبة، الآية: ١١٢.

والتزمت بحدود الله، فما أعظم الجزاء، فى جنات عرضها السموات والأرض، كما فى الحديث المشار إليه - أولا . «إذا صلت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وحفظت نفسها، وأطاعت زوجها، قيل لها يوم القيامة ادخلى من أى أبواب الجنة الثمانية شئت» [١] فلو شاءت الفردوس الأعلى بمرافقة الحبيب محمد ﷺ فلها ذلك، فما أيسر المهمة، وما أعظم الجزاء، ولا حرج على فضل الله ﴿**ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم**﴾.

أقول قولى هذا وأستغفر الله لي ولكم [٢].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) يلاحظ طول هذه النماذج لينتفع بها القارئ، ويمكن أن تكون أكثر من خطبة، فإما أن يقسمها إلى مجموعة خطب، أو يوجزها إن استطاع.

النموذج الثالث:

الحمد لله رب العالمين. والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، أمرنا بالوحدة والاعتصام، وجعلنا أمة واحدة، وأعزنا بهذا الدين، وبالتمسك بشريعته وكتابه المبين، فلو ابتغينا العزة فى غير الإسلام لأذلنا الله.

وأشهد أن سيدنا وأستاذنا وحبيبنا محمداً عبد الله ورسوله، وصفيه من خلقه وحبيبه، وخيرة الله من عباده وخليله، خير من بلغ الرسالة، وأدى الأمانة ونصح الأمة، وجاهد فى سبيل ربه حتى أتاه اليقين.

اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه الكرام البررة، الذين نشروا هذا الدين، وانتصروا على الأعداء كأمهر المهرة، ولقنوهم الدرس المرة تلو المرة، مخالفين منهج المشركين والكفرة، وعلى التابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد، فيا أخوة الإسلام: حديثنا اليوم عن «**الاعتصام بحبل الله سبب النصر، والفرقة سبب الهزيمة**».

قال تعالى: ﴿**واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداءً فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون**﴾ (١).

وكما قال عز وجل: ﴿**وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين**﴾ (٢) وإذا استقرئنا التاريخ وجدنا أنه مع الوحدة كان النصر، ومع الفرقة كانت الهزيمة.

---

(١) سورة آل عمران: ١٠٣ (٢) سورة الأنفال: ٤٦.

فلقد نصر الله عز وجل المسلمين فى غـزوة بدر بسبب طاعتهم لله ورسوله، واجتمـاع كلمتهم، ووحدة صفوفهـم، مع أن القوتين كانتا غير متكافئتـين، وهى بمنطق الحساب المادى لابد وأن تكون للمشركين على حســـاب المسلمين، ولكن انقـلبت الموازين لصـالـح المسلمين فنصرهم الله وهم أذلة وقلة.

فـإذا قـــارنت بين غـزوة بدر وغـــزوة أحـد فى العـــدد والعـدة والاستـعداد، قلت سيكون النصر حليف المسلمين يقينا. على الأقل قيـاسا عـلى غزوة بدر التى نصـرهم الله فيـها وهم قلة فى الـعدد، وضآلة فى العُدَدْ مع غير استعداد كامل للمعركة، وقد نصرهم الله عز وجل في غـزوة أحد فـى بادئ الأمر، وكـان نصـرا مؤزرا، ثم فـر المشركون، وأخذ المسلمون يجمعون الغنائم، فلاحت الغنائم فى أعين الرماة الذين وقفـوا فى مؤخرة الجند يحمون ظهـور الجيش من فوق هضبة الجـبل، وكان الرسول ﷺ قد أمرهم ألا يبـرحوا أماكنهم، ولكنهم - بعد انتهـاء المعركة - اختلفوا فيـما بينهم على النزول لجمع الغنائم، وخالف بعضهم أمر رسول الله ونزل إلى أرض المعركة وترك موقعه الذي حـدده له القائد الأعظم ﷺ، فأصاب الصف الخلل، وظهر فيه العور، ورأى ذلك - من بعـيد - «خالد بن الوليد» - الذى يومها كان قائدا للمشـركين - فأعاد الكرة - من بعد الفرة - وجاء من الخلف وقضى على بقيـة الرماة، ثم دخل على الجند، وقد اضطربت صفوفهم وانحنـت ظهورهم، يجمعون الغنائم، فأعمـل فيهم القتل والجراح، حتى نال المشركون من رسول الله ﷺ، وشاع بين الناس أن رســول ﷺ قـد قـتل، وكـانت هزيمة منـكرة، من بعـد نصـر ساحق، فإذا تساءلت: لماذا وقعت الهـزيمة؟ فقد اتضح لك أنه بسبب اختلاف الرماة فيما بينهم، ومخـالفتهم لأمر نبيهم ﷺ، وقد أخبر

القرآن عن ذلك، فقال تعالى: **﴿أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنّى هذا قل هو من عند أنفسكم إن الله علي كل شئ قدير﴾**[1].

إذا الفرقة كانت هي السبب الرئيسى فى هزيمة المسلمين فى غزوة أحد، وقد علم الأعداء مدى خطورة هذا السلاح - أعنى الفرقة - فأخذوا يزكونه بين المسلمين فبعد أن أنعم الله عز وجل على الأوس والخزرج بالأخوة، وكذا بين المهاجرين والأنصار، حزن اليهود لذلك حزنا شديدا، فهم ما نالوا عزهم وسيادتهم بالمدينة إلا على حساب فرقة الأوس والخزرج، واقتتالهم، فإذا تآخوا واتحدوا كان ذلك وبالا على اليهود، ولذلك مر رجل من اليهود يدعى «شاس بن قيس» على الأوس والخزرج، وهم يتمازحون ويتضاحكون بعد أن آخى رسول الله ﷺ بينهم - فقال «شاس بن قيس» ذلك الرجل الذى أسن فى اليهودية، بعد أن غضب وكشر عن أنيابه: والله لا مكان لليهود إذا اجتمعت كلمة المسلمين. تأمل!! ثم استدعى شابا يهوديا، وأمره أن يدخل بين الأوس والخزرج، ويزكى نار العداوة التى كانت بينهما، ففعل الشاب ذلك، حتى تحركت الحمية الجاهلية القديمة، وتَسَّابَ الفريقان وتواعدا على القتال خارج المدينة، ثم ترامي الخبر إلى رسول الله ﷺ فأدركهم ووقف بينهما، وقال: الله الله، أتتقاتلون وأنا بين أظهركم، الله الله، أتعودون كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض.

وتركت الكلمات أثرها فى نفوس الصحابة، وألقوا السلاح، وبكوا، والتزم بعضهم بعضا، وعلموا أنها مكيدة من اليهود، الذين بنوا سياستهم على مبدأ «فرق تسد»، ففيهم نزلت الآيات الكريمة فى

---

(١) سورة آل عمران: ١٦٥.

سورة آل عـمران: **﴿قل يا أهل الـكتـاب لم تكفـرون بآيات الله والله شهـيد علي ما تعـملون . قل يا أهل الكتاب لم تصدون عن سـبيل الله من آمن تبغونها عوجا وأنتم شهـداء وما الله بغافل عما تعملون . يا أيها الذين آمنوا إن تطيـعـوا فـريقـا من الذين أوتوا الكتـاب يردوكم بعـد إيمانكم كافـرين . وكيف تكفرون وأنتم تتلـي عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتـصم بالله فقد هدي إلي صراط مستـقيم . يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون. واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقـوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فـأصبـحتم بنعـمتـه إخوانـا وكنتم على شفـا حفـرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون﴾** [(١)].

ومنذ أن علم الأعـداء مـدى خطورة سلاح الفـرقـة على المسلمين وهم يستغلونه أسوأ استغلال، وحاولوا القيام به فى حياة النبى ﷺ أكثـر من مرة، ولكن القـرآن كان يفـضحـهم فى مثل قولـه تعالى: **﴿وقـالـت طائفـة من أهل الكتـاب آمنوا بالذي أنزل عـلى الذين آمنوا وجه النهـار واكفروا آخره لعلهم يرجـعون * ولا تؤمـنوا إلا لمن تـبع دينكم قل إن الهدى هدى الله..﴾** [(١)] فتركوا تلك الفرقة حينا من الزمان حتى انقطع الوحى بموت رسول الله ﷺ، ثم أشعلوا نار الفتنة فى أقصـى درجاتهـا ـ وذلك حين عملت يد اليـهود والمنافـقين على ردة بعض المسلمين، ومنع بعـضهم الزكـاة، فقيض الله عـز وجل أبا بكر لذلك، واجتمـعت كلمة المسلمين معه فى القضـاء على تلك الفتنة، حتى أعـاد الأمر إلى نصابه، وقـضى علي تلك الفتنة بفـضل الله عز وجل.

ودخل الأعداء جحـورهم مرة أخرى ـ خاصة فى خلافـة عمر بن

الخطاب ﷺ، الذى عرف بشجاعته ومهابته وقوته فى الحق، وشدته على الأعداء - وهم يخططون للـقضاء على الإسلام حـتى تآمروا مع «أبى لؤلؤة المجوسى» الذي قام بقتل أمـير المؤمنين «عمر بن الخطاب ﷺ» ومن يومهـا انكسر باب الفتنة ولم ينغلق، وبقـتل فاروق الأمة «عمـر بن الخطاب» خرجت الأفاعى مـن جحورها، يزكـون الفتنة، ويبثون العداوة، وينشرون الفرقة مستغلين فى ذلك ضعف أمير المؤمنين «عثمان بن عفان» وطيبته وتسامـحه مع شيخوخته - والذى تولى كبر تلك الفتنة «عبـد الله بن سبأ، الملقب بابن السوداء» فـزعم مزاعم ما أنزل الله بها من سلطان، وأخـذ يؤلب الناس على «عثمان بـن عفان ﷺ» فى الأقطار والأمصار حتى خرج الناس عليـه، وتجمعوا حول بيته، وانتهت الفتنة بمقتل «ذى النورين» ﷺ، ثم كانت خلافة «على ابن أبى طالب»، فقام الذيـن قتلوا «عثمان بن عـفان ﷺ» يطالبون «عليا ﷺ» بالقصاص من قتلة عثمان، وهم قتلة عثمان!!

وألبوا معاوية ﷺ على «على ﷺ» وكـذا «الزبير وطلحة وعائشة ﷺ»، حتى انقسم المسلمون إلى فئتين عظيـمتين، وقد أعدت كل فئة عدتها للحرب والقتال، ومع ذلك فقد قيض الله عز وجل من يصلح بينهما، وقد تم الصلح بفضل الله، وبات المسلمون خير ليلة، فرحين بفضل الله عز وجل الذى أصلح بينهم، وحقن دماء المسلمين.

ولكن هذا الأمر أحزن الأعداء الذين فـشلت خططهم، فباتوا شر ليلة وبأسوأ حال، يفكرون فيمـا نزل بهم، وكيف يعملون على فشل ذلك الصلح مـرة أخـرى، فلم تكن هناك حـيلة أو وسـيلة إلا أنهم قالوا: ننقسم إلى فريقين، فريق منا يبيت فى جيش على، وفريق يبيت في جـيش طلحة والزبيـر وعـائشة، وبغلس من اللـيل يقاتل بعـضنا

بعـضا، فـيظن كل من جيش على وأصـحاب الجـمل أن الآخر قـد خانه، ونقض عهده.

وبالفعل تم لهم ما أرادوا وخططوا له، فلما ناوش بعضهم بعضا، استيقظ المسلمون على صليل السـيوف، يقول كل من الفريقين: خاننا جـيش على، أو بيتنا أهل الـبصـرة، ووقع القتـال، وكانت مـوقعـة الجمل، كـما وقعت بعـد ذلك موقعـة «صفين» وقد قـتل فيهـما من المسلمين مـا لا يعلم عدده إلا الله، ومن يومـها وقد توالـت الهزائم على المسلمين تتـرى، فـإن سألت: ومـا السـبب فى ذلك؟ أجبـتك بالقطع واليقين: إنهـا الفرقة «السـبب الرئيسى» واسألوا التـاريخ: ما هزم التتار المسلمين إلا بسبب فرقتهم.

وما انتـصر أهل مصـر على التتار إلا بسـبب وحدتهم، واجتـماع كلمتهم.

وما ضاعت الأندلس من المسلمين إلا بسبب فرقة المسلمين.

وما انتصر المسلـمون على الصليبين إلا باجتماع كلمـتهم، وتوحيد رايتهم، تحت امرة القائد المسلم «صلاح الدين» واقرأوا التاريخ!!

وفى العصر الحـديث انهزم العرب أمام اسـرائيل - وهم حفنة من البشر - فى أكـثر من معركة بسبب فـرقتهم واختلافهم، حـتى انتصر اليـهود على العـرب فى سنة ١٩٦٧م على أربع جـبهـات - مصـر - سوريا - الأردن - لبنان - فى آن واحد، فلما ترآى للعرب أن يتحدوا، واجتمـعت الكلمة، واتفق القادة مع الجند، وعـاد الناس إلى الله عز وجل وتمسكوا بدينهم وكبروا الله ربهم، نصـرهم الله عز وجل نصرا مؤزرا على اليـهود فى مـعركة رمـضان/ أكتـوبر سنة ١٩٧٣م الذى ظهرت فـيها آيات، ووضـحت فيه كـرامات، وانتـصر الحق الذي به

قامت السموات، وصار واضحا أن اجتماع كلمة المسلمين واعتصامهم بحبل الله المتين سبب كبير من أسبـاب النصر، وأن فرقتهم وتخاذلهم وبعدهم عن الدين، وحـبهم للدنيا سـبب رئيسى من أسبـاب الهزيمة والفشل.

فطن لذلك الأعداء، وتغافل عنه أبناء الإسلام، فلماذا؟!!

ولا يزال أعداء المسلمين وأعداء البشرية يعملون على فرقة المسلمين فى كل مكان من أجل تحقيق مآربهم وأحلامـهم، وتنفيذ أغراضهم، فهم يعملون عـلى فرقة العرب من جانب، وعلى فـرقة المسلمين من جانب آخـر، فى الوقت الذى يحـاولون فيه أن يـتناسوا خلافـاتهم الدينية والمذهبية، لتجتمع كلمتهم وتتحد قوتهم فى القضاء على المارد العظيم «الإسلام» فهل نفيق؟!!

وأحداث العراق مع الكويت والخليج فى محيط العرب خير دليل، وأحداث الصـرب مع البوسنة والهرسك على مـستوى المسلمين خـير دليل، وتحقـيق حلم «ما بين النيل إلى الفرات» لا يزال يأخـذ طريقه بخطى ثابتة، بطيئـة حينا، وسريعة أحيـانا أخرى، والعالم كله يقف موقف المتفرج من الأحداث.

آلمنى وآلـم كـــل حـــر سـؤال الدهر: أين المسلمـون؟

إن أعداء الإسلام يحزنهم أن تكون مصر قـوية متماسكة، متعاونة مع جيرانها، متآلفة مع العرب، مناصرة للمسلمين.

لذلك يعمل الأعـداء على ايجاد الفـرقة في صفـوفها، واشـعال الفتنة بين قـادتها وشـعبهـا، وبين شرطتهـا والمسلمين، وبين المسلمين والمسيحـيين، كما تعمل على ايجـاد الخلاف بينها وبين جيـرانها على

حـدود يفتـعل الخلاف عليـها، وعـلى إبعادها عن إخـوانها العـرب وأشقائها المسلمين.

فـهل آن لـنا أن نحـبط المخطـط قـبل أن ينفـذ، وندرك من هم الأصدقـاء ومن هم الأعداء، ولا ننفـذ سياسـة الأعداء «فـرق تسد» باحكام أو بغباء، ونعود فنصـطلح مع رب الأرض والسماء، ونعالج أمراضنا بكتاب الله الذى هو شفاء من كل داء، ووقاية من كل وباء، وفيه العز والاباء، والنصـر والاستعلاء، ﴿ويومئـذ يفرح المؤمنون * بنصر الله﴾ [1]، ﴿وسـيعلم الذين ظلمـوا أى منقلب ينقلبـون﴾ [2]، اللهم بلغت، اللهم فاشهد.

أقول قولى هذا وأستغفر الله العظيم لى ولكم وللمسلمين.

* * *

(١) سورة الروم: ٤، ٥.
(٢) سورة الشعراء: ٢٢٧.

النموذج الرابع:

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان على الظالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، أمرنا بالوحدة والاعتصام، وجعلنا أمة واحدة، وأعزنا بهذا الدين، وبالتمسك بشريعته وكتابه المبين، فلو ابتغينا العزة في غير الإسلام لأذلنا الله.

وأشهد أن سيدنا وأستاذنا وحبيبنا محمداً عبد الله ورسوله، وصفيه من خلقه وحبيبه، وخيرة الله من عبادة وخليله، خير من بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة، وجاهد فى سبيل ربه حتى أتاه اليقين.

اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله، وأصحابه، وأتباعه وأحبابه، ومن اهتدى بهديه وسار على نهجه إلى يوم الدين.

أما بعد، فيا أخوة الإسلام: حديثنا اليوم عن: «**أسباب اختلاف الأمة الإسلامية**».

فلقد تحدثنا فى الخطبة السابقة عن الاعتصام بحبل الله وأنه سبب رئيس فى النصر، وأن الفرقة سبب رئيس فى الهزيمة، وقد عرفنا أن الفرقة سببها سياسة الأعداء «فرق تسد» ولكن ليس هذا هو السبب الوحيد، وإن كان هو أهمها، وأبرز أسبابها.

ولكن اختلاف الأمة يرجع إلى أسباب أخرى منها :

أولاً: حب الدنيا والتنازع على الملك :

فحب الدنيا رأس كل خطيئة، لما تمكن حب الدنيا من قلوب بعض المسلمين، تنازعوا على الملك والإمارة، وذهب عزهم، وباءوا بالهزيمة والفشل، وما ضاعت الأندلس من المسلمين إلا لهذا السبب

الرئيسى، وكذا فى كل عصر إذا نظر الإنسان إلى نفسه، وعمل لحسابه، ولم يبال بالأمة، فإن ذلك يجر على الأمة ويلات وهزائم.

ثانيا: اعجاب كل ذى رأى برأيه :

وذلك المعروف فى دنيا الناس «بالدكتاتورية»، والذى أشار إليه النبى ﷺ بقوله ﷺ «إذا رأيتم شحا مطاعا، وهوى متبعا، ودنيا مؤثرة، واعجاب كل ذى رأى برأيه، فعليك بخاصة نفسك، ودع عنك أمر العوام». وآفة هذا العصر أننا نرى كل إنسان مقتنعا برأيه وإن كان خاطئا لا يحيد عنه.

ثالثا: التعصب للأشخاص :

فكم رأينا أناسا يستميتون فى التعصب لمشايخهم، ولآراء العلماء الذين يتتلمذون على أيديهم، وللمذاهب التى يتمذهبون بها. وكم أضر هذا التعصب بالأمة المسلمة أيما ضرر.

رابعا : المفاهيم الخاطئة في حياة المسلمين :

سواء كان ذلك بالتفسيرات الخاطئة لبعض الآيات، والإسرائيليات فى بعض التفاسير، أو كان ذلك بفهم خاطئ لبعض الأحاديث الصحيحة، وانتشار أحاديث ضعيفة وأخرى موضوعة، وكذلك بانتشار شبهات المستشرقين ومفتريات المبشرين، فكل ذلك بعد اختلاط الحق فيه بالباطل، شوش على المسلمين فاختلفت كلمتهم، وتفرقت وحدتهم، ولو عرفت الأمة الفهم الصحيح فى ذلك ما كان هذا حالها من ضعف وهزيمة، وذل ومهانة.

خامساً: الجهل بطبيعة هذا الدين :

فهذا الدين له عقيدة وأصول واحدة، لا يختلف عليها، والحق فيها واحد لا يتعدد ﴿فماذا بعد الحق إلا الضلال﴾ [1].

---

(١) سورة يونس: ٣٢.

وفروع وتشريعات يتعدد فيـها الحق ولا يتوحد، ويختلف باختلاف اجتهادات المجتهدين مع الاتفاق على وحدة المصدر والمنشأ.

وذلك للاختلاف فى فهم النصوص التـشريعية، لأنه من النصوص ما هـو ظني الثبـوت، أو ظني الدلالة، فيـترتب عليـه اختـلاف فى المقصود منه.

وكذلك للاختـلاف فى العلم بالحديث من حيث الـورود وعدمه، أو ثبوت صـحته وعـدم صحتـه، أو وصوله إليـه أم لا، أو ما يوهم ظاهره التعارض بين القرآن والحديث، أو بين حديث أو آخر.

وكذلك اختلف الفقهاء فى بعض المصادر التشـريعية كالاستحسان، وعمـل الصحـابى، والعرف، والمصـالح المرسلة، وشرع من قـبلنا، والاستصحاب، فهذه المصادر لم تكن حجيتها موضع اتفاق.

فـهذا من الفـقه الذى يغـفل عنه بعض المتـدينين، فهـذه الأحكام الظنية التى هى مـجال الاجتهـاد وتقبل تعدد الأفـهام والتفسـيرات، سواء كانت أحكاما فيما لا نص فيـه، أو فيما فيه نص ظني الثبوت، أو ظني الدلالة، أو ظنيهمـا معا، وهذا شأن معظـم الأحكام المتعلقة بالعمل، كـأحكام الفقه، فهـذه يكفى فيهـا الظن. بخلاف الأحكام المتعلقة بالعقيدة، التى لا يغني فيها إلا القطع واليقين.

وهذا الاختـلاف لا يؤدى إلى الفرقـة، إذ لا ضرر فـيه ولا خطر منه، لأنه مبـنى على اجتهـاد شرعي صحـيح، وهو رحمـة بالأمة، ومرونة فى التشريع، وسعة فى الفقه.

هذا وقد اختلف أصحاب النبى ﷺ، ومن تبـعهم بإحسان، فما ضرهم ذلك شيئا، وما نال من أخوتهم ووحدتهم كثيرا ولا قليلا.

وإن فقهاءنا الكبار قد اختلفوا أحيانا فى بعض المسائل اختلافا قد يتجاوز الآحاد إلى العشرات من الأقوال، بل فى داخل المذهب الواحد من المذاهب المتبوعة، نجد العديد من الأقوال، أو الروايات أو الوجوه، أو الطرق، واختلاف التصحيحات والترجيحات فيما بينها لدى علماء المذاهب.

ومع ذلك فقد بلغ الأئمة قمة الأدب مع اختلاف أقوالهم، وحمل كل واحد منهم للآخر كل حب وتقدير واحترام.

لهذا كان من المعانى الكبيرة التى يجب على الشباب أن يحسنوا التفقه فيها: أن يعرفوا ما يجوز فيه الخلاف وما لا يجوز، وأن منطقة ما يجوز فيه الخلاف أوسع بكثير مما لا يجوز، وأهم من هذا كله أن يتعلموا «أدب الخلاف»، وهو أدب ورثناه من أئمتنا وعلمائنا الأعلام، وعلينا أن نتعلم منهم كيف تتسع صدورنا لمن يخالفنا فى فروع الدين؟

علينا أن نتعلم كيف تختلف آراؤنا ولا تختلف قلوبنا؟ كيف يخالف المسلم أخاه المسلم فى رأيه دون أن تمس أخوته، أو يفقد محبته أو احترامه لمخالفته، ودون أن يتهمه فى عقله أو فى علمه أو دينه.

وهنا أمر لا بد منه، ألا وهو أنه يجب أن نتعلم أن الخلاف فى الفروع أمر واقع، ما له من دافع، وأن لله حكمة بالغة حين جعل من أحكام الشريعة القطعى فى ثبوته ودلالته، فلا مجال للخلاف فيه، وهذا هو القليل، بل الأقل من القليل، وجعل منها الظني في ثبوته أو دلالته. أو فيهما معا، فهذا بما فيه مجال رحب للاختلاف، وهو جل أحكام الشريعة، وهناك من العلماء من آتاهم الله القدرة على التحقيق والتمحيص والترجيح بين الأقوال المتنازع فيها، دون التعصب

لمذهب أو لقول، ولكن محاولات هؤلاء لم ترفع الخلاف، ومحاولات غيرهم من بعد، لم ترفع الخلاف ولن ترفعه.

ذلك لأن أسباب الخلاف قائمة في طبيعة البشر، وطبيعة الحياة، وطبيعة اللغة، وطبيعة التكليف، فمن أراد أن يزيل الخلاف بالكلية، فإنما يكلف الناس والحياة واللغة والشرائع ضد طبائعها.

على أن الخلاف العلمى في ذاته لا خطر فيه، إذا اقترن بالتسامح، وسعة الأفق، وتحرر من التعصب والاتهام وضيق النظر.

هذا وقد اختلف أصحاب رسول الله ﷺ فى كثير من المسائل الفرعية، أو الأحكام العملية، فوسع بعضهم بعضا، ولم يعب بعضهم على الآخر.

وجاء تلاميذهم من التابعين لهم بإحسان، فوجدوا فى هذا الخلاف سعة ورحمة للأمة، وخصوبة وثراء للفقه، ولم تضق بذلك صدورهم، كما فعل أناس من المتأخرين من بعدهم، يقول خامس الخلفاء الراشدين «عمر بن عبد العزيز» ﷺ، «ما وددت أن أصحاب رسول الله ﷺ لم يختلفوا، اختلافهم رحمة».

وكيف لا يختلف الصحابة ومن بعدهم، وقد اختلفوا في حياة الرسول نفسه، وأقر الرسول الكريم ﷺ هذا الاختلاف دون أن يلوم أحداً من المختلفين. وهذا ثابت فى «قضية صلاة العصر فى بنى قريظة» حين قال لهم بعد غزوة الأحزاب: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يصلين العصر إلا في بنى قريظة».

وصلى بعضهم فى الطريق قبل فوات الوقت، وقالوا إنما أراد منا سرعة النهوض، لا تأخير الصلاة عن وقتها، وأبى الآخرون إلا أن

يقفوا عند ظاهر النص، وأن ينفذوه بحرفيته... أخذ الأولون بالفحوى، وأخذ الآخرون بالظاهر، فأولئك - كما قال ابن القيم - سلف أهل القياس والمعانى، وهؤلاء سلف أهل الظاهر، والمهم أن النبى ﷺ، لما بلغه صنيع الفريقين، لم يلم هؤلاء ولا هؤلاء، مع أن أحدهما مخطئ بلا ريب، فدلنا ذلك على أن العمل إذا تم بناء على اجتهاد، فلا ينبغى أن يُكَفَّر صاحبه أو يؤثم.

وقد عرفنا فى عصرنا أناسا يجهدون أنفسهم، ويجهدون الناس معهم، ظانين أنهم قادرون علي أن يصبوا الناس فى قالب واحد يصنعونه هم لهم، وأن يجتمع الناس على رأى واحد، يمشون فيه وراءهم، وفق ما فهموه من النصوص الشرعية، وبذلك تنقرض المذاهب، ويرتفع الخلاف، ويلتقى الجميع على كلمة سواء.

ونسى هؤلاء أن فهمهم النصوص ليس أكثر من رأى يحتمل الخطأ، كما يحتمل الصواب، إذ لم تضمن العصمة لعالم فيما ذهب إليه، وإن جمع شروط الاجتهاد كلها، كل ما ضمن له هو الأجر على اجتهاده، أصاب أم أخطأ. ولهذا لم يزد هؤلاء على أن أضافوا إلى المذاهب المدونة مذهبا جديدا!!

ومن الغريب أن هؤلاء ينكرون على أتباع المذاهب تقليدهم لأئمتهم على حين يطلبون من جماهير الناس أن يقلدوهم ويتبعوهم.

ولا تحسبن أننا نكر على هؤلاء الناس دعوتهم إلى اتباع النصوص، أو اجتهادهم فى فهمها، فهذا من حق كل مسلم متى استوفى شروط الاجتهاد وأدواته، ولا يملك أحد أن يغلق بابا فتحه رسول الله ﷺ للأمة، إنما أنكر عليهم تطاولهم على مناهج علماء الأمة، واحتقارهم للفقه الموروث، ودعاواهم العريضة فى أنهم

وحدهم على الحق، وما عـداهم على خطأ أو ضلال، وتوهمهم أن باستطاعتهم إزالة الخلاف، وجـمع الناس قاطبة على قول واحد، هو قولهم!!.

إن إجماع الناس على أمر واحد فى فـروع الدين مطلب مستحيل، بل هو يتنافى مع طبـيـعة الدين، وإنما يريـد الله لهذا الدين أن يبـقى ويخلد ويساير العصور، ويماشى الأزمـان، وهو لهذا سهل مرن هين لين، لا جمود فيه ولا تشديد.

وأخـيرا يجب على كـل مسلم - أسلم لله عـز وجل - أن يعـتقـد ذلك، فيلتـمس العذر كل العـذر لمن يخالفـه فى بعض الفرعـيات، وأعتـقد - فى رأيى - أن هذا الخلاف لا يكون أبدا حـائلا دون ارتباط القلوب، وتبـادل الحب، والتعـاون على الخـير، وأن يشـملنا وإياهم مـعنى الإسلام السـابغ بأفـضل حدوده، وأوسع مـشـتمـلاته، ألسنا مـسلمين وهم كـذلك؟ ألـسنا نحب أن ننزل على حكـم تطمـئن له نفـوسنا، وهم كذلك فـفيم الخـلاف إذا ؟ ولما لا يكون رأينا مـجالا للنظر عندهم كرأيهم عندنا؟ ولماذا لا نتفـاهم فى جو الصفاء والحب إذا كان هناك ما يدعو إلى التفاهم، والله الهادى إلى سواء السبيل.

أقول قولى هذا وأستغفر الله لي ولكم.

***

النموذج الخامس :

الحمد لله رب العـالمين، الذى اختار لنا الإسلام دينـا، ورضيه لنا منهاجا قويما، وصـراطا مستقيمـا، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شـريك له، أرسل الرسل، وأنزل الـكتب، فـبـعث لنا أفـضل نبى وأعظم رسول بأعظم شريعة، وأفضل دين، وأشهد أن سيدنا وأستاذنا وحبيـبنا وعظيمنا محـمداً رسول الله، وحبيب الله وخـير خلق الله، اصطفاه الله واجتباه، فكان على خلق عظيم.

اللهم صل وسلم وبارك على هذا النبى الكريم، وعلى آله وصحبه أفـضل صلاة وأزكى تسلـيم، وعلى التابعين لـهم بإحسـان إلى يوم الدين.

أما بعد، فيا أخوة الإسلام: لقـاؤنا اليوم مع سيد الخلق، وحبيب الحق، سيد الأولين والآخرين، سيدنا محمد ﷺ.

كيف نتأسى برسول الله ﷺ القدوة الحسنة ؟

* هذا هو محمد رسـول الله ﷺ أفضل الخلق وحبيب الحق، وسيد العرب والعجم، وقد نشـأ يتما، فَقَدَ أباه، وهو فى بطن أمه، وفَقَدَ أمه وهو فى السادسة من عـمره، فماذا حدث ؟ هل حقد على المجتمع لأنه بدون أب، وهل حـسد من هم فى سنه لأنهم لهم آباء، وهو قـد فقـد أباه، وهل انحرف فى سلوكـه لعدم وجـود أب يؤدبه ويربيه ؟ كلا، لم يحدث ثمة شىء من ذلك.

وإنما مع يتمه ﷺ كان أبا لكل يتيم شفوقا عطوفا به، كافلا له، موصـيا به الخير كلـه، مبينا جزاء من كـفل يتيمـا، أنه فى الدرجات العلا، برفقة الحبيب المصطفى «صلوات ربى وسلامه عليه».

ومع فقدانه لأبويه منذ صغـره، لم ينحرف فى سلوكه، ولم يعوج عن طريقه، لأن الله عـز وجل كان قد تعـهده ورباه، وتولاه بالعناية الكاملة، والرعاية التـامة، فهو ﷺ قد نشـأ فى رعاية الله، وتربى على عين الله، وقـد اصطفاه الله واجـتبـاه، وأحـسن خَلْقَه، وخُلُقَـه وهداه، ثم جعله خاتم رسله ومصطفاه.

* ثم ماذا ؟ بعـد موت أمـه وجده عبـد المطلب كنله عـمه «أبو طالب» فرأى ـ وهو الصـبى الصغيـر، حدث السن، قليل المعـرفة ـ عمه «أبا طالب» رجلا صاحب عيـال، وأنه فقير الحال ـ على الرغم من أنه كان سيد قومه ـ فأبى محـمد ﷺ أن يكون عبئاً على عمه، أو ثقيلا عليه، فقـام ـ وهو الذى لا يزال غضا طرياً ـ يعمل، ليعف نفـسه، ولينفق من مـاله الخاص، وليـعين عمـه على نفقـات حيـاته ومطالب أولاده، فـمن مثل «مـحمـد» وهو فى هذا السن يفكر هذا التفكيـر، ويعمل هذا العـمل ؟ إنه محمـد ﷺ ، القدوة الطيـبة، والأسوة الحسنة، وفقط.

* ثم ماذا كان يعـمل ؟ إنه كان يعمل ﷺ برعى الغنم. يرعى الغنم؟!! وهو سيد ابن سيد من سادات قريش !!

نعم، ولم لا؟ وليس في العـمل عـيب مدام شـريفاً حـلالاً، إنما العيب فى البطالة وترك العمل، أو التسول والارتزاق والنصب وكذا. أما العمل سواء كان رعيا لغنم، أو كـان تجارة أو فلاحة أو استخداما أو غيـر ذلك فهذا شرف، يـفرضه الشرع، ويوجـبه الواقع، وتحتـمه الحياة، وقد عمل الأنبياء، بل وأشـرف الأنبياء عليه الصلاة والسلام، ومـا الضيـر فى أن يرعى محـمـد ﷺ الغنم، ثم بعد ذلك يقـود الأمم؟! إنما الضيـر والضـرر فى البطالـة والكسل، والارتزاق وترك العمل، والتلهى مع سوء الأمل، ألا فلنفهم ولو علي مهل.

* ثم ماذا ؟ نشأ محمد ﷺ فى بيئة طغت عليها الجاهليات، وتظاهرت بالوثنية، وعمتها حماقات، وسادتها سخافات، وانتشر فيها شرب المسكرات، وكذا وأد البنات، وعمها ظلم وظلمات، وارتكبت فيها المنكرات والموبقات، وإن كانت لم تحرم من بعض الخيرات، وفعل الواجبات، وانصاف المظلوم، فى بعض الأوقات، وخدمة بيت الله الحرام كقربة من القربات.

فماذا كان محمد ﷺ فى هذه البيئة المتلاطمة الأمواج ؟

هل كان إمعة، يقول: أنا مع الناس - لا أخرج عن أهلى وعادات بلدى، إن أحسنوا أحسنت، وإن أساءوا أسأت ؟ كلا، ورب الكعبة، بل وَطَّنَ ﷺ نفسه - منذ البداية - على أنه إذا أحسن الناس أحسن معهم، وشاركهم فى الخير، وإذا أساءوا أن يتجنب إساءتهم، وإن ظلموا لا يظلم معهم.

ولذلك عاش النبى ﷺ أربعين سنة قبل البعثة، فى تلك البيئة الجاهلية العاتية، ومع ذلك فلم يسجد لصنم كما كانوا يسجدون، ولم يعبد وثنا كما كانوا يعبدون، ولم يشرب خمرا كما كانوا يشربون، ولم يأد بنتا كما كانوا يأدون، ولم يلعب ميسرا كما كانوا يلعبون، ولم يظلم أحدا كما كانوا يظلمون، ولم يرتكب منكرا كما كانوا يرتكبون، فصلوات ربى وسلامه عليه بدوام من يقول للشيء كن فيكون.

* وهو في ذات الوقت يرى قومه يعيدون بناء الكعبة فيكون من أول المشاركين، ويجتمع قومه فى دار «عبد الله بن جدعان» لنصرة المظلوم فيكون من السابقين، ثم يقول ﷺ - بعد بعثته - «لقد حضرت حلف الفضول بدار (عبد الله بن جدعان) لنصرة المظلوم،

ولو دعيت إليه فى الإسلام لأجبت» أو كما قال. فتلك صورة مشرقة من حياته ﷺ، فهل وعيت ؟

* هذا هو محمد ﷺ في نبله وذكائه، وصدقه وأمانته، وهو الشبل الصغير يختلف قومه - بعد بناء الكعبة - على من يضع الحجر الأسود فى مكانه، لينال هذا الشرف بين القبائل، ويصل الخلاف مداه ساعة أن استلت السيوف، ورفعت الرماح، ونادى الناس بالقتال، ثم حكم فيهم رجل كبير، أن نترك الخلاف، ونتجنب ويلات الحرب حتى يدخل أول داخل علينا، فنحكمه بيننا، فرضى القوم بذلك، فماذا حدث ؟ كان أول داخل عليهم هو محمد ﷺ فكانت الفرحة غامرة، والقلوب عامرة، وتصايح الناس: هذا هو الصادق الأمين، رضينا به وبحكمه، هذا هو الأمين، نعم إنها كلمة قيلت بالإجماع، في وقت عز فيه الأمناء، وصف بها إمام أهل الأرض والسماء.

ثم بعد أن عرض عليه الأمر فكر مليا، وبذكاء لم يسبق إليه، وبفطنة ليست لغيره، يأتى برداء، ثم يضع الحجر الأسود فيه، ويأمر كل الأطراف المتنازعة أن تمسك بأطراف الرداء، ثم يضعه ﷺ فى موضعه وبذلك انتهى النزاع وحسم الخلاف، وحقنت الدماء.

* لقد عرف أهل مكة جميعا أمانة محمد بن عبد الله ﷺ، مما أغرى «خديجة بنت خويلد» أن ترسل إليه ليتاجر لها فى مالها، لما عرفته عن صدقه وأمانته، فوافق ﷺ فضرب لنا أعظم مثل للتاجر الصدوق الأمين، الذى يحافظ على مال غيره، ويحب للناس ما يحب لنفسه، ثم يبين - بعد نبوته - فضل التاجر الصدوق، وأنه مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقا، يا ليت التجار، يتعلمون درسا من إمام الأبرار، وسيد الأخيار.

* ثم مـاذا ؟ وبعد أن رأت «خـديجـة بنت خويلد» مـا رأت من محمـد ﷺ، وما سمعت عنه، مما فـاق كل وصف، وتجاوز واقع الناس، وقـدرات البشـر، علمت أنه له شـأنا عظيمـا، فرغـبت فى الزواج منه، وأرسلت بمن يبدى رغبتهـا لمحمد ﷺ، الذى استشار أعمامـه، فوافقوا، فمن لخـديجة مثل محمـد ؟ ومن فى النساء مثل خديجـة تكون زوجا لمحـمد ﷺ؟ وهى سـيدة نسـاء قريش وأهل مكة، تقدم لهـا الكثير من الرجـال فرغبت عنـهم، ولكنها هى هى التى رغبت فى محمد ﷺ وتم الزواج بإيجاب وقبول وشهود ومع تسمـية المهـر - كالزواج التى يتم وفق الشرع - ومـع فارق السن بين محمد ﷺ ابن الخامسة والعـشرين من عمره - وبين «خديجة بنت خويلد» رضي الله عنها بنت الأربعين من عمرها، فـإن البشرية لم تعرف زيجة كزيجة محمد ﷺ من خديجة رضي الله عنها، ولم تسعد زوج بزوجها كما سعدت خديجة بزواجها من محمد ﷺ، الذى ضرب المثل الأعلى لأعظم زوج فى الوجود، عرف ما له ومـا عليه، وقد أدى الحقوق، والتزم بالواجبـات، ووفى مع زوجه فى الحياة، وحـتى بعد الممات، فظل يذكـر خديجـة بكل خير حـتى غارت منهـا أم المؤمنين عـائشة رضي الله عنها.

فيـاليت الأزواج يتـعلمون درسـا من خيـر زوج محـمد ﷺ. القائل: «خـيركم خـيركم لأهله، وأنا خيـركم لأهلى» صلوات ربى وسلامه عليه.

* ومع كثرة أعبائه، ومسئولياته فقد اهتم بأبنائه، وربى أولاده خير تربية، فـيا ليت الآباء يقـتدون بخيـر الآباء، وإمام الأنبـياء، محـمد ﷺ.

* ثم مـاذا ؟ وهذا هو محـمد ﷺ وقد بـلغ أشده، واكتـمل رشـده، ونضج عقله، واسـتوى فـكره، إذ بلغ الأربعين من عمـره،

وكان قد حبب إليه الخلاء، يتفكر فى خالق هذا الكون، وصاحب النعم والآلاء، مبتعداً عن شرك الجهلاء، وسفه السفهاء، وبينما هو فى تلك الأثناء، إذ نزل عليه إمام ملائكة الأرض والسماء، يأمره أن يقرأ باسم الله الذي خلق - بقدرته وعظمته - الإنسان من علق، وأنه هو الذى أكرم، وبالقلم قد علم، فسبحانه من إله عظيم، صاحب المنن والنعم.

ثم عاد وقد ارتجف فؤاده، واضطربت نفسه، فقد فاجأه ما لم يتوقع، وسمع ما لم يكن فى حسبانه أن يسمع، فعاد إلى زوجه المصون يخبرها بما رأى وسمع، فكانت خير زوجة لأعظم زوج، قالت: «لا تخشى على نفسك، فوالله لن يخزيك الله أبدا، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتقرى الضيف، وتكسب المعدوم، وتعين على نوائب الحق».

فياليت الناس يسمعون، ويعرفون شيئا من خلق صاحب الخلق العظيم، ويوقنون بأن صاحب المعروف لا يقع، وإن وقع وجد متكئا، وأن من يعرف الله فى الرخاء يعرفه فى الشدة، ولن يضيع جميل أينما وضع.

* ثم بعد ذلك نزل عليه ﷺ الوحى ثانية، يأمره بالتبليغ والانذار، فقام ﷺ فشمر عن ساعد الجد، وهجر النوم، وقال: لقد مضى عهد النوم يا خديجة، فقام ينذر عشيرته الأقربين، فدعاهم، ومن على جبل الصفا ناداهم، فلما اجتمعوا إليه قال لهم: أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا وراء هذا الوادى، تريد أن تغير عليكم، أكنتم مصدقي ؟ قالوا: «وما لنا لا نصدقك وما جربنا عليك كذبا قط».

اسمع ثانية «وما جربنا عليك كذبا قط» إنها شهادة بالاجماع، وممن ؟ إنها من الخصوم والأعداء، والفضل ما شهدت به الأعداء، إنه تاريخ مشرق لا يدع مجالا لإنسان أن يقول: إنك كذبت مرة واحدة على مدى أربعين سنة، إنه لا يوجد، وعليك أن تستنتج ما كان لإنسان مثل محمد ﷺ أن يدع الكذب على الناس، ويكذب على رب الناس.

ألا ليت الدعاة يتعلمون أن التاريخ المشرق للداعية سبب لنجاح دعوته، وكبت لخصومه، وفوز له فى آخرته، ياليت قومى يعلمون.

* ثم ماذا ؟ هذا هو محمد ﷺ بعد بعثته، وقد اكفهرت الدنيا، وتلبدت السماء بالغيوم، وانقلب أهله عليه، وتفننوا فى ايذائه، واضطهاد أصحابه، الذين آمنوا به فى خفية من النهار، أو ظلمة من الليل، ومع ذلك فقد صبر ﷺ صبرا فوق ما يتخيل الإنسان، أو يحتمل البشر، فكان بحق إمام أهل العزم من الرسل، ليعلمنا كيف نصبر على البلاء، ونرضى بالقضاء، وليبين لنا أن البلاء والإيمان قرناء، ﴿**أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون، ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين**﴾ [١].

* وكذا كان أصحابه ﷺ، الذين تربوا فى مدرسته، تحملوا فى سبيل الله ما لا يطيق بشر، وكذلك الإيمان إذا خالط بشاشته القلوب فإن الجبال تميد ولا يميد، وإن الأرض تتزلزل ولا يتزلزل، وبتلك الحفنة المؤمنة المرباة على يد خير الأنبياء، أذعنت الدنيا بأسرها - بعد ذلك - لهذا الدين، وانطلق المسلمون ينشرون راية العدل والحق فى ربوع الأرض، ويخرجون الناس من ظلمات الكفر إلى أنوار الإيمان،

(١) سورة العنكبوت: ٢، ٣.

ومن عبادة العبادة إلى عبادة رب العباد، ومن جور السلطان إلى عدل الإسلام. فأين مسلمو اليوم يتعلمون من مسلمى الأمس.

آلمنى وآلـم كـل حـر   سـؤال الدهر: أين المسلمـون؟

* ثم هذا محمد ﷺ الذى لقى مـن قومه مما يفوق الوصف، ويصل إلى الخـيال، يمكنه الله تعالى مـن أعدائه، فهل عـاملهم بمثل معاملتهم، أو أنه بعد أن قدر عليهم انتقم منهم، كلا بل رأيناه ﷺ بعـد أن دخل مكة يوم الفتح مـنتصـرا، ووجد رجـالات قريش قـد تجمـعوا حـول الكعبة يـنتظرون حكم الفاتح المنتـصر فيـهم، ناداهم ﷺ قائلا : «يا مـعشر قـريش، ما ترون أنى فـاعل بكم ؟ قالوا: خيرا، أخ كريم وابن أخ كريم، قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء».

إن هذا الموقف المثـالى في تاريخ الـعظمـاء يدل قطعـا على خلق النبى ﷺ مما أصبح مثـلا عاليا فى هذا الشأن، وصـدق من وصفه بقوله: **﴿لقد جـاءكم رسول من أنفسكم عـزيز عليه مـا عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾** [1].

فهل يأخـذ القادة من ذلك درسـا، وهل يتعلم الزعـماء من ذلك كيف تكون العظمة ؟

* إن سـياسـة مـحمـد ﷺ - وفى كل من سـجالـيهـا المدنى والعسكرى، أو السلمى والحربى - كـانت - وبدون شك ولا مبالغة - مضرب المثل، وكانت على نحو لم يطمع فى الوصول إلى مثله أحد من الناس، ومهما أوتى من الكمال فى هذا الخصوص.

* وهو ﷺ كما كـانت سياستـه مضرب الأمثـال كذلك كانت شجاعـته، إن شجاعة قلب النبى ﷺ، لم تكن أقل من شـجاعة

(١) سورة التوبة: ١٢٨.

عقله، إنه قد بلغ فيها بحق المثالية التى لا توصف، وناهيك في اثبات هذا الخلق العظيم أن يقول أفذاذ الأبطال «كنا إذا حمى الوطيس، واشتد البأس، نلوذ برسول الله ﷺ، نتقى به»[(١)].

ويكفي أن يقول الله تعالى له: ﴿فقاتل فى سبيل الله لا تكلف إلا نفسك﴾[(٢)]. إن شخصا يكلف بالقتال وحده، وقتال من ؟ إنه قتال كل أهل الكفر على الأرض - وما على الأرض يومها إلا كافر باستثناء تلك الحفنة من أصحابه المؤمنين - لشخص هو أشجع من طلعت عليه الشمس وغربت فى دنيا الناس، ذلك هو محمد رسول الله ﷺ.

* وكما كان شجاعا كان رحيما، فإن الرحمة التى كان يحملها قلب محمد النبي ﷺ لرحمة مثالية، لا تتأتى لغيره من بنى الإنسان، وإذا أردنا أن نذكر بعض مظاهرها، تقريرا لها، فماذا عسانا أن نذكر منها، وإن ذلك يحتاج أن نفرد له مجلدات.

* وكذلك الكرم الذى كان يتحلى به محمد رسول الله ﷺ لا يأتى عليه الوصف، وكيف يوصف كرم من لم يسأل شيئا طول حياته وهو فى حوزته، وقال: لا، قط. وقد وثق بما فى يد الله الذى لا تنفد خزائنه. وهو يملك خزائن السموات والأرض؟ الله أكبر، ماذا يذكر عن كرم محمد ﷺ ؟ إنه فى هذا الباب كما فى غيره، المثل الأعلى فى الكرم النفسى.

* وماذا نقول عن عدله ﷺ الذى تجلى فى مواقف عديدة، وقد بلغ المثالية والكمال، إذ الكل يستوى عنده فى العدل. لا يفرق بين شريف ووضيع ولا بين مسلم ولا كافر، ولا بين قريب أو بعيد، ولا بسبب محبة أو كراهية، ومثاله «. . . والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها»[(٣)]. ﷺ.

---

(١) صحيح البخاري (٢) سورة النساء: ٨٤.
(٣) البخاري ومسلم.

الله أكبـر، إنه العدل الذى قـامت به وعليه السـموات والأرض، تجسد فى صورة محمد، وفى منهاج محمد، وفى الدستور الذى جاء به محمد ﷺ.

* ومع العدل كان العفو والحلم، لاسيما العفو بعد المقدرة، وهو العفو الكريم الذى يستحق صاحبه كل إجلال وتقدير.

* إن الاستقصاء للشمائل المحمـدية غير محتمل أبدا، وأحسن ما قيل فى ذلك :

إنما مثلوا صفاتك للناس   كما مثل النجوم المـاء

ولذا فـإننا نكتـفى بتلك الإشـارات لهذه النمـاذج لذلك الكمـال المحمدى فى كل مظهر من مظاهره، وصلى الله وسلم وبارك على من كان على خلق عظيم.

أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم.

الخـــاتمـــة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد..

فقد أنجزت - بعون الله تعـالى - هذا البحث عن «قواعد الخطابة» وقد تناولت فيه مقدمات حول التـعريف بهذا العلم وأهميته، والخطبة وطريقة إعـدادها، والخطيب وأهم صفاته التى يجب أن يتـحلى بها، وكذا أشرت إلى أصناف المستمعين، وطرق دعوتهم، ثم أردفت ذلك بذكر بعض نماذج الخطب التى يستعين بها القارئ على تحضير خطبته.

لقد حـاولت خلال هذا البـحث أن أبين ذلك، فإن أصـبت فمن الله، والتوفـيق بيد الله وحـده، وإن كانت الأخـرى، فأسـتغـفر الله وأسأل الله سـبحـانه وتعالى أن يحـقق ما رجـوته، ويهدينـى سواء السبـيل، وأن يتقـبل منى هذا العمل، ويجـعله لى نورا فى الأرض وذخرا فى السماء.

والله ولـى التـوفيـق

د / عمر عبد العزيز

المــراجع

١ - القرآن الكريم.

٢ - كتب السنة المعتمدة.

٣ - صحيح البخارى.

٤ - صحيح مسلم.

٥ - السيرة النبوية.

٦ - المعاجم :

القاموس المحيط - لسان العرب - المصباح المنير.

٧ - البلاغة النبوية للرافعى.

٨ - البيان والتبيين للجاحظ.

٩ - تربية الأولاد فى الإسلام للشيخ عبد الله ناصح علوان.

١٠ - تلخيص الخطابة لابن رشد.

١١ - الخطابة لأبي زهرة.

١٢ - دراسات فى علم الخطابة، د/ عبد الغفار عزيز.

١٣ - دراسات فى فن الخطابة، د/ السعودى عبد المقصود.

١٤ - دراسات فى الدعوة الإسلامية، د / أحمد غلوش.

١٥ - قواعد الخطابة وفقه الجمعة والعيدين د./ أحمد غلوش.

١٦ - الكامل لابن الأثير.

١٧ - مهمة المرأة في الإسلام. د/ عمر بن عبد العزيز.

١٨ - هداية المرشدين للشيخ على محفوظ.

****

الفهـــرس

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٣
التمهيد «تعريف علم الخطابة»	٥
أهمية الخطابة للدعوة الإسلامية	٧
علاقة علم الخطابة بالعلوم الأخرى	٩
أساسيات علم الخطابة	١٣
الفصل الأول: «الخطبة»	١٥
أولا: إعداد الخطبة :	١٥
المرحلة الأولى: اختيار موضوع الخطبة	١٨
المرحلة الثانية: تركيب العناصر	٢٢
المرحلة الثالثة: اختيار الأدلة	٢٣
المرحلة الرابعة: التعبير	٢٦
ثانيا : محتويات الخطبة :	٢٩
القسم الأول: الافتتاح	٢٩
القسم الثاني: بيان الغرض	٣٠
القسم الثالث: التقسيم فى الأداء	٣٠
القسم الرابع: الأدلة المؤيدة	٣١
القسم الخامس: الخاتمة	٣٣

ثالثا: أنواع الخطب :	٣٥
١ - موضوع الخطابة الوعظية	٣٦
٢ - أهمية الخطابة الوعظية	٣٧
٣ - خصائص الخطبة الوعظية	٣٨
رابعا: حالة الخطابة الوعظية اليوم	٤٢
خامسا: طريقة النهوض بالوعظ	٤٤
سادسا: بين الخطبة وأشباهها من فنون القول	٤٧
الفصل الثاني: «الخطيب»	٤٩
أولاً: الخطيب بين الفطرة والاكتساب	٥٠
ثانياً: إعداد الخطيب	٥٤
ثالثا: الصفات العقلية للخطيب	٦٠
رابعا: الصفات الأخلاقية للخطيب	٦٧
خامسا: الصفات البيانية للخطيب.	٩٦
سادسا: الصفات الشكلية للخطيب.	٧٣
الفصل الثالث: «المستمعون»	٧٥
١ - نوعية المستمعين.	٧٥
٢ - ملاحظة الاتجاهات السائدة.	٧٩
٣ - مراعاة المناسبات عند المستمعين.	٧٩

الفصل الرابع : «نماذج من الخطب»:	٨٣
١ - مهمة الرجل المسلم	٨٣
٢ - مهمة المرأة المسلمة	٩٥
٣ - الاعتصام بحبل الله سبب النصر	١٠٦
٤ - اسباب اختلاف الأمة	١١٤
٥ - كيف نتأسى برسول الله ﷺ	١٢١
الخاتمة	١٣١
المراجع	١٣٢
الفهرست	١٣٣

رقم الإيداع الإيداع بدار الكتب والوثائق القومية

١٩٩٩/٢٥٨٠م

777I.S.B.N. 977 - 19 - 7995 - 5

مطبعة الحسين الإسلامية

٢٥ ح المدرسة خلف جامع الأزهر الشريف

تليفون : ٥١٠٦٧٢٤ - القاهرة